وصايا رمضانية (6)

وصايا عامة (ب)

الشيخ ندا أبو أحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشيخ ندا
أبو أحمد

وصايا رمضانية

(6)

وصايا عامة

الشيخ/ندا أبو أحمد

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:70،71)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الوصية الأولى: انتهز هذه الفرص:

1- انتهز فرصة دخول رمضان.

2- لديك الحصول على أكثر من حجة يوميًا في رمضان وفي غيره من سائر الأيام، فانتهز هذه الفرصة.

3- لديك ستون فرصة لعتق رقبتك من النار، فانتهز هذه الفرصة.

4- لديك ستون دعوة مستجابة في رمضان فانتهز هذه الفرصة.

5- اغتنم ليلة القدر، ولا تجعل هذه الفرصة تفوتك.

6- اغتنم إفطار الصائمين في رمضان فلك مثل أجرهم، لا تجعل هذه الفرصة تفوتك.

7- اغتنم مرحلة الشباب. **8- اغتنم فرصة الحياة.**

الوصية الثانية: اقتحم العقبات بقوة:

الوصية الثالثة: بع نفسك لله تعالى تربح الجنة:

الوصية الرابعة: استعن بالله تعالى وحرص على ما ينفعك:

الوصية الخامسة: عليك بملازمة الصبر عمومًا؛ وفي رمضان خصوصًا:

الوصية السادسة: بادر بالأعمال الصالحة قبل أن يأتيك الأجل:

الوصية السابعة: وصيتي للشباب:

على الشباب أن يعلم ماذا يُرَاد بهم.

وقد خصصت هذه الوصية بالشباب لأمور، منها:

1- لأن فترة الشباب هي فترة العمل.

2- لأن مرحلة الشباب أعظم مرحلة سيسأل عنها الإنسان.

3- حتى لا يغتر الشباب بشبابهم؛ فيطيلوا الأمل ويُسيئُوا العمل.

كثر موت الفجأة، وهو علامة من علامات السَّاعة.

سؤال أتوجه به إلى كل شاب بعيد عن طاعة الله ﷻ....

الوصية الثامنة: وصيتي لمن بلغ به العمر أقصاه، ومازال منكبًا على دنياه، بعيدًا عن مولاه:

نعوذ بالله أن نُعيَّر بطول العمر.

طول العمر نعمة لمن استغلها في طاعة الله:

الوصية الأولى: انتهز هذه الفرص:

من فضل الله تعالى على عباده أن جعل لهم مواسم للطاعات تتضاعف فيها الحسنات، وترفع فيها الدرجات، ويغفر فيها كثير من المعاصي والسيئات، فالسعيد من اغتنم هذه الأوقات وتعرض لهذه النفحات.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني عن النبي ﷺ أنه قال:" اطلبوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، فاسألوا الله أن يستر عوراتكم ويُؤَمِّن روعاتكم ".

وفي رواية الطبراني من حديث محمد بن مسلمةرضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" إن لله في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدًا ".

فها نحن نعيش في هذه الأيام مواسم الخيرات والطاعات التي أكرمنا بها رب الأرض والسماوات مواسم الصلاح التي يُضَاعف للمؤمنين فيها من الأجور والأرباح، وهذه هبات ربانية لا تكون إلا للأمة المحمدية أمة؛ العمل القليل والأجر الكبير والفضل العظيم.

أخرج البخاري من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال:" مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجيرًا فقال: من يعمل لي غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقل أجرًا!؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء ".

فالحمد لله الذي أنعم على الأمة المحمدية بمواسم الطاعات وميادين الخيرات وساحات المغفرة والرحمات حيث يتسابقون فيها إلى رضوانه ويتنافسون فيما يقربهم من فضله وإحسانه، وهذه المواسم

منحة ومنة من الله تعالى على عباده؛ لأن العمل فيها قليل والأجر والثواب جزيل، وهي والله فرصة عظيمة لا يحرم خيرها إلا محروم، ولا يغتنمها إلا مَن وفَّقهُ الله.

ومن هذه المنح الربانية على الأمة المحمدية؛ شهر رمضان، فإدراك رمضان نعمة من الله تعالى، عساك أن تكون أهلًا لها، وإحسان من الله لا يناله إلا المشمرون، ولا يبلغ فضيلته إلا المجتهدون، فعساك أن تكون من أولئك المقبولين... آمين.

1ـ انتهز فرصة دخول رمضان:

ففي رمضان منحُ الرحمن، ونسائمُ القرآن، وروائحُ الجنان، فيه تطيبُ الأفواهُ، وتطهرُ الألسنة، وتُصان الفروجُ، وتمنع الآثام، فهو جُنة من الزلل، ووقاية من المعاصي، وحصن من السيئات، لا يخيب فيه سائل، أو يُطرد عنه محروم، عطاؤه كثير، وفيضه عميم، توج بليلة القدر، وتشرف بنزول القرآن، وبورك بنزول الملائكة، ورُفعت فيه راية الموحدين، فقد تم فيه نصر بدر، وفيه تم فتح مكة، فكان هو الفوز في البدء والختام والفرح بالسيادة والإيمان.

فالحمد لله لما أولانا فيه من النعيم، وحبانا فيه من الرحمات والطيبات.

فهو شهرٌ.... تنهمر فيه الرحمات من رب البريات.

شهرٌ.... مبارك كريم وموسم رابح عظيم وشهر تتضاعف فيه الحسنات.

شهرٌ.... أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

شهرٌ.... من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... من قامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... فيه ليلة خير من ألف شهر من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... تفتح فيه أبواب الجنان فلا يغلق منها باب.

شهرٌ.... تغلق فيه أبواب النيران فلا يفتح منها باب.

شهرٌ.... تصفد فيه الشياطين ومردة الجان.

شهرٌ.... من أتى فيه بعمرة كان كمن حج مع النبي ﷺ.

شهرٌ.... من فطر فيه صائمًا كان له مثل أجره.

وغير ذلك من الجوائز والمنح الربانية، والتي وهبها رب البرية للأمة المحمدية، فهنيئًا لمن تعرض لهذه النفحات، وخرج من رمضان وقد غفر له جميع السيئات.

أحبتي في الله:

عندما يأتي شهر رمضان يشمر الناسُ عن ساعد الجد، لينجوَ كلٌ منهم بنفسه، ويزرع في يومه ما يلقاه غدا في قبره، وبين يدي ربه.

ولله در القائل:

من فاته الزرعُ فـي وقت البـذارِ فما تراه يحصد إلا الهمَّ والندما

طوبى لمن كانت التقوى بضاعته فـي شهرهِ وبحبل الله معتصما

شهرُ رمضانَ تسمو فيه الأخلاق، وتزكو فيه النفوس، وتحيا فيه القلوب، ويسارع فيه المؤمنون إلى مرضاة الله تعالى.

شهرُ رمضانَ هو شهر المنافسة في الخيرات، والتسابق إلى الأعمال الصالحات، والتقرب إلى رب الأرض والسماوات.

شهرُ رمضانَ هو شهر الأمل والإيمان والسلامة والإسلام.

شهرُ رمضانَ يملأ نوره الأرض، ليبدد الظلام عن قلوب ملأتها الغفلة ويزيل السحب عن عقول أسكرتها الشهوة، فيستيقظ القلب من سُبات، ويحيا من موات.

شهرُ رمضانَ هو شهر المنافسة في الخيرات، وعمل الصالحات، والتسابق إلى الجنات، والتقرب إلى رب الأرض والسماوات، فطوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لمن صرف عن الباب.

شهرُ رمضانَ نسائم الخيرات فيه قد انتشرت، وبشائر البركات فيه قد أقبلت، ومواسم العطايا والمنح فيه قد أظلت.

شهرُ رمضانَ هو شهر تشبع فيه الأرواح وإن جاعت البطون، وتقوى فيه القلوب وإن ضعفت الأجسام، وتسمو فيه النفوس، وتعلو فيه الهمم، وتخبو فيه الشهوات.

شهرُ رمضانَ جنة ووقاية من كل ما يوقع في الموبقة والعماية، وسترة من المعاصي والخطايا.

شهرُ رمضانَ فيه لحظات الصفاء والإشراق والهناء والوفاق.

شهرُ رمضانَ هو المنهل الصافي، والبلسم الشافي.

شهرُ رمضانَ يجرد الناس من سرابيل الخنا، ويحررهم من آصار الشقاء والعناء ويستل من صدورهم السخائم والأضغان، وينشر بينهم الألفة ويطوي عنهم الشنآن.

شهرُ رمضانَ تعلو فيه الهمم وتتسابق النفوس، ويزداد فيه الإيمان، ويعلو الإنسان بروحه إلى عنان السماء.

شهرُ رمضانَ المؤمن فيه حيي القلب كثير الذكر والشكر، يجد حلاوة في الحياة وقوة في الجسد.

شهُر رمضانَ هو فرحة للمؤمنين، وبهجة قلوب الموحدين، وفرج التائبين، وواحة الذاكرين، وغنيمة للصادقين، وتذكرة للغافلين، وراحة للقلب الحزين، وقرة عين الموحدين، مضمار المتسابقين إلى جنة رب العالمين، فهو منحة من رب العالمين لعباده الموحدين.

شهرُ رمضانَ هو شهر مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات، ومغفرة الذنوب والسيئات وإقالة العثرات.

شهرُ رمضانَ تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتصفد فيه الشياطين ومردة الجان.

شهرُ رمضانَ هو شهر المغفرة والرضوان، والعتق من النيران.

شهرُ رمضانَ خصه الله تعالى بخصائص عظيمة دون غيره من الشهور، فهو شهر الصيام والقيام والقرآن، شهرُ الجهاد والانتصارات، شهر الجود والخيرات والبركات والنفحات، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم الخير كله، فيه لله – عز وجل – في كل ليلة عتقاء من النار.

فشهر رمضان فرصة عظيمة، ومناسبة كريمة، تصفو فيها النفوس، وتهفو إليها الأرواح، وتكثر فيها دواعي الخير، ففيه تهجد وتراويح وذكر وتسبيح، وفيه تلاوة وصلوات، وجود وصدقات، وأذكار ودعوات، وضراعة وابتهالات، وفيه ذنوب مغفورة، وعيوب مستورة، وأجور مضاعفة، وغير ذلك من الخصائص والمزايا، والهبات والعطايا، والكرامات والهداية، التي خُصَّ بها هذا الشهر الكريم.

فعلينا جميعا انتهاز فرصة دخول شهر رمضان الذي تصفد فيه الشياطين ومردة الجان، وتهفو فيه النفس إلى الصلح مع الله تعالى، ويجد العبد إعانة على الطاعة والعبادة، إنها لفرصة حقيقية للارتقاء بالنفس وتربيتها تربية إيمانية وفق المنهج الرباني المتكامل.

وعندما نتذكر انتصارات المسلمين في هذا الشهر كما حدث في غزوة بدر، وحطين، وعين جالوت، نتذكر ما كانوا عليه من قوة الإيمان والقرب من الرحمن، ولا تنتصر هذه الأمة على أعدائها إلا إذا انتصرت على أنفسها وقهر عدوها الداخلي الذي يجري منها مجرى الدم في العروق.

يقول إبراهيم بن علقمة –رحمه الله– عندما رجع من الغزو:" رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال:" جهاد النفس ".

فالانتصار على الأعداء في ساحة الحرب يسبقه الانتصار على الهوى والشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ **(محمد: 7)**

قال السعدي–رحمه الله– في تفسير هذه الآية:" هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم،– أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره ". اهـ

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ **(العنكبوت: 69)**

فالذين بذلوا جهدهم في سبيل إعلاء ديننا، وقدموا أنفسهم وأموالهم في سبيل رضائنا وطاعتنا، وأخلصوا لنا العبادة والطاعة، فإننا لن نتخلى عنهم، بل سنهديهم إلى الطريق المستقيم، ونجعل العاقبة الطيبة لهم، فقد اقتضت رحمتنا وحكمتنا أن نكون مع المحسنين في أقوالهم وفي أفعالهم، وتلك سنتنا التي لا تتخلف ولا تتبدل. **(التفسير الوسيط)**

وأخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" رَغِمَ أَنْفُ[1] رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَانْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ ". (صحيح الجامع: 3510)

وأخرج ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ صعد المنبر، فقال: " آمين آمين آمين " قيل: يا رسول الله، إنك صعدت المنبر فقلت: آمين آمين آمين.، فقال: " إن جبريل عليه السلام أتاني، فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له، فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين.....". الحديث (صحيح الترغيب والترهيب: 996)

قال المناوي–رحمه الله– في" فيض القدير:34/4": رغم أنف من علم أنه لو كفّ عن الشهوات شهرًا في كل سنة، وأتى بما وظِّفَ له فيه من صيام وقيام غفر له ما سلف من الذنوب فقصّر ولم يفعل حتى انسلخ الشهر ومضى، فمن وجد فرصة عظيمة بأن قام فيه إيمانًا واحتسابًا عظّمه الله، ومَنْ لم يعظمه الله حقَّره وأهانه ". اهـ.

فمن رُحِمَ في رمضان فهو المرحوم، ومن حرم خيره فهو المحروم، ومن لم يتزود فيه لمعاده فهو ملوم.

أَتَى رَمَضَانُ مَزْرَعَـةُ العِبَادِ لِتَطْهِيرِ القُلُوبِ مِنَ الفَسَادِ
فَـأَدِّ حُقُوقَـهُ قَـوْلًا وَفِعْـلَا وَزَادَكَ فَـاتَّخِـذْهُ لِلْمَعَـادِ
فَمَنْ زَرَعَ الحُبُوبَ وَمَا سَقَاهَا تَأَوَّهَ نَـادِمًا يَـوْمَ الحَصَادِ

قال معلى بن الفضل–رحمه الله–: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم، فالسنة كلها عندهم رمضان.

وقال يحي بن أبي كثير–رحمه الله–: كان من دعائهم اللهم سلمني إلى رمضان وسلم لي رمضان وتسلمه مني متقبلا.

1– رغم أنف: بالكسر، أي لصق أنفه بالرغام، أي: بالتراب، هذا هو الأصل ثم استعمل في الذُّل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: 238/2).

2ـ لديك الحصول على أكثر من حجة يوميًا في رمضان وفي غيره من سائر الأيام، فانتهز هذه الفرصة:

- وتفصيل ذلك أنك تستطيع أن تفوز بخمس حجات؛ وذلك بالمحافظة على الصلوات الخمس في جماعة.

– فقد أخرج الطبراني عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال:" من مشي إلى صلاة مكتوبة في جماعة فهي كحجة، ومن مشي إلى صلاة تطوع، فهي كعمرة تامة ". (صحيح الجامع: 6556)

والمقصود من صلاة التطوع في هذا الحديث هي صلاة الضحى.

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى[1] لا ينصبه[2] إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين ". (صحيح الجامع: 6228)

- وخمس حجات أخرى تتحصل عليها عقب صلاة الفريضة، عن طريق أذكار الصلاة.

– فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال: يحجون، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون، فقال: ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال:" تسبحون، وتحمدون، وتكبرون، خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين ".

– زاد مسلم في روايته:" فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله؟ فقال رسول الله ﷺ: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ".

فأذكار ما بعد الصلاة تعدل في الأجر؛ أجر حجة، وعمرة، وصدقة، وجهاد

1– تسبيح الضحى: يعني صلاة الضحى، وكل صلاة يتطوع بها فهي تسبيح وسبحة " أفاده المنذري في الترغيب والترهيب ".

2– لا ينصبه: أي لا يتعبه إلا ذلك، والنصب: التعب " المصدر السابق".

- وحجة أخرى عن طريق المكث في المسجد بعد صلاة الفجر، وذكر الله حتى شروق الشمس، ثم صلاة ركعتين: فقد أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة، وعمرة، تامة، تامة، تامة". (صحيح الترغيب والترهيب: 464) (صحيح الجامع: 6346) (الصحيحة:3403

– وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ:" من صلى صلاة الغداة في جماعة، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم قام فصلى ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة ". (صحيح الترغيب والترهيب: 467)

– وأخرج الطبراني في الكبير عن عبد الله بن غابر أن أبا أمامة وعتبة بن عبد الله –رضى الله عنهما–حدثاه عن رسول الله ﷺ أنه قال:" من صلى الصبح في جماعة، ثم ثبت حتى يسبح لله سبحة الضحى، كان له كأجر حاج ومعتمر تامًا له حجة وعمرته ". (صحيح الترغيب والترهيب: 469)

- وحجة أخرى عن طريق حضور مجالس العلم:

فقد أخرج الطبراني والحاكم من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من غدا إلى مسجدٍ لا يريدُ إلا أن يتعلَّمَ خيرًا أو يُعلِّمَه، كان له كأجرِ حاجٍّ، تامًّا حجَّتُه ". (صحيح الترغيب والترهيب: 86)

وإذا كان الإنسان منا يستطيع أن يتحصل على كل هذا في يوم واحد، فلك أن تتخيل عدد الحجات في شهر رمضان كله.

- وتستطيع أن تضيف حجة أخرى عن طريق؛ عمرة في رمضان.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهَا أُمُّ سِنَانٍ:"مَا مَنَعَكِ أَنْ تَكُونِي حَجَجْتِ مَعَنَا؟" قَالَتْ : نَاضِحَانِ[1] كَانَا لِأَبِي فُلَانٍ – زَوْجِهَا – حَجَّ هُوَ وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَكَانَ الْآخَرُ يَسْقِي عَلَيْهِ غُلَامُنَا [أرضا لنا]، فقالَ النبي ﷺ:" فإن عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً ". أَوْ "حَجَّةً مَعِي ".

1– ناضحان: والناضح هو البعير أو الثور أو الحمار الذي يستسقى عليه، لكن المراد به في هذا الحديث هو البعير، لتصريحه في رواية أبي داود بكونه جملا. (فتح الباري: 604/3)

– وفي لفظ مسلم:" فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرةً فيه تعدل حجة ".

فالنبي ﷺ أعلم أمَّ سنان أن العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض، للإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن حج الفرض، وهذا الحديث فضل من الله ونعمة على عبده المؤمن، وفيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت، كما يزيد بحضور القلب، وبخلوص القصد. **(انظر فتح الباري لابن حجر:604/3)**

وقال المناوي–رحمه الله– في" فيض القدير:361/4": وقول النبي ﷺ:" عمرة في رمضان تقضي حجة". أي تقابلها وتماثلها في الثواب، لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت، ولا تقوم مقامها في إسقاط الفرض بالإجماع ". اهـ

وقال ابن العربي–رحمه الله– وهو من أئمة المالكية: في الحديث السابق:" وفي هذا فضل من الله ونعمة، فقد نزلت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها ". اهـ بتصرف

3ـ لديك ستون فرصة لعتق رقبتك من النار، فانتهز هذه الفرصة:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والبيهقي والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ[1] الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ[2] فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كل ليلة: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ولله عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ ". (صحيح الجامع: 759)

– وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ للهِ تبارك وتعالى عُتقاءَ في كلِّ يومٍ وليلةٍ– يعني في رمضانَ–. وإنَّ لكلِّ مسلمٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ دعوةً مُستجابةً ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1002) (صحيح الجامع: 2169)

- **وهناك فرصة أخرى للعتق من النار وذلك عند كل إفطار في شهر رمضان.**

فقد أخرج ابن ماجه من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ للَّهِ عندَ كلِّ فِطرٍ عتقاءَ من النار، وذلِك في كلِّ ليلةٍ ". (صحيح ابن ماجه: 1340) (صحيح الجامع: 2170)

1– صفدت: بضم أوله وتشديد الفاء أي شُدَّت وأُوثقت بالأغلال، والأصفاد هي القيود، قال تعالى (مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ) أي مشدودين بعضهم ببعض في القيود والأغلال (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: 53/3)

2– وفي لفظ للبخاري" وفتحت أبواب السماء"، وعند مسلم بلفظ" وفتحت أبواب الرحمة".

وقولُه ﷺ:" **في كلِّ ليلةٍ**" بمنزلةِ التَّأكيدِ لِما قالَه، وإلَّا فقولُه: "**عندَ كلِّ فِطْرٍ**" يَشمَلُ كلَّ ليلةٍ بعُمومِه. وهذا يدُلُّ على أمورٍ عظيمةٍ؛ منها: كَثْرةُ العُتقاءِ مِن النَّارِ في أيَّامِ الصَّومِ في رمَضانَ بمَغفِرةِ ذُنوبِهم، وقَبولِ عِبادتِهم، وحِفْظِهم مِن المعاصي الَّتي هي أسبابُ العذابِ، وهذا الوعدُ العظيمُ يَشْحَذُ هِمَمَ الصَّائِمين للتَّسابُقِ إلى إحسانِ العبادةِ وإخلاصِها للهِ، لعلَّهم يَفوزونَ بكَرَمِه بالعِتقِ مِن النَّارِ. **(الدرر السنية)**

أخي الحبيب... إن لم تكن من عتقاء الله في الليلة الأولى فلتكن في الثانية، فإن لم تكن في الثانية ففي الثالثة، فإن لم تكن في الثالثة ففي الرابعة... وهكذا حتى آخر يوم وليلة من رمضان، لكن تمر عليك ستون فرصة للعتق من النيران ولا تفز بأي واحدة من هذه الفرص! فهذا عين الخسران، وهنا لا يلومن الإنسان إلا نفسه.

4ـ لديك ستون دعوة مستجابة في رمضان فانتهز هذه الفرصة:

فقد مر بنا في الحديث السابق الذي رواه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ للهِ تبارك وتعالى عُتقاءَ في كلِّ يومٍ وليلةٍ- يعني في رمضانَ- **وإنَّ لكلِّ مسلمٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ دعوةً مُستجابةً** ". **(صحيح الترغيب والترهيب: 1002) (صحيح الجامع: 2169)**

5ـ اغتنم ليلة القدر، ولا تجعل هذه الفرصة تفوتك:

قال الزهري–رحمه الله–:" سميت ليلة القدر لعظمها وقدرها وشرفها، من قولهم لفلان قدر: أي شرف ومنزلة، وهذه الليلة من حرم خيرها فهو المحروم.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه النسائي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَتَاكُمْ شهر رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ... – وفي رواية: أبواب الجنة، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، وفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ ". (صحيح الجامع: 55) (صحيح الترغيب والترهيب: 999)

– وفي رواية عن ابن ماجه من حديث أنس ﷺ قال:" دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ ". (صحيح الترغيب والترهيب: 1000)

فالمحروم هو الممنوع: الذي منع خيرها بأن لا يوفق لإحيائها والعبادة فيها، فهذا الذي منع الخير كله، وفاته الثواب الكامل أو الغفران الشامل الذي يفوز به القائم على إحيائها. **(أفاده المباركفوري–رحمه الله–)**

ولهذا كان النبي ﷺ يعتكف ويجتهد في العشر الأواخر التماسًا لتلك الليلة.

وهذه الليلة اختصها الله تعالى بإنزال القرآن فيها، وجعل العبادة والعمل الصالح فيها من: الصيام، والقيام، والدعاء، وقراءة القرآن، خيرًا من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر:1–5)

قال ابن جرير الطبري–رحمه الله– في" تفسيره:259/12":" عمل في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر". وهذا الذي صوَّبه ابن كثير–رحمه الله– في تفسيره ". ". اهـ

وقال الإمام القرطبي–رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾:" وفضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في ألف شهر، وقال كثير من المفسرين: أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر". **(الجامع لأحكام القرآن:369/10)**

وقال أبو العالية –رحمه الله–: ليلة القدر خير من ألف شهر لا تكون فيه ليلة القدر". اهـ

- **ومما خص الله تعالى هذه الليلة أيضًا: أن من قامها لله إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.**

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ".

ومع هذا الفضل العظيم والأجر الكبير، نجد كثيرًا من المسلمين يغفلون عن إحياء هذه الليلة؛ لانشغالهم بمطالب دنيوية من شراء ملابس للعيد، أو عمل الكعك والبسكويت، أو كثرة الزيارات... أو غير ذلك من الأعمال الدنيوية، والتي حرمت صاحبها من إحياء ليلة القدر المباركة، ولا يدري هذا المسكين لعلها تكون آخر ليلة قدر يدركها، فالبدار... البدار، فإنما هي الأنفاس لو حُبست عنا

انقطعت أعمالنا التي نتقرب بها إلى الله تعالى.

6ـ اغتنم إفطار الصائمين في رمضان فلك مثل أجرهم، لا تجعل هذه الفرصة تفوتك:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن خالد ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:" مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا ". (صحيح الجامع: 6415)

– وفي رواية عند البيهقي بلفظ:" من فطَّر صائمًا، أو جهز غازيًا، فله مثل أجره ". (صحيح الجامع: 6414)

7ـ اغتنم مرحلة الشباب:

مرحلة الشباب هي مرحلة القوة والعطاء، فالشباب قوة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، **كما أشار إلى ذلك قوله تعالى:** ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ **(الروم:54)**

– وكانت صفية بنت سيرين–رحمها الله– تقول مخاطبة الشباب:" يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فوالله ما رأيت العمل إلا في الشباب ".

فمرحلة الشباب فرصة عظيمة لا تُعوَّض، يجب اغتنامها في ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه، وهذا ما كان يوصي به النبي ﷺ.

فقد أخرج الحاكم في "المستدرك" من حديث ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه:" اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك ". (صحيح الجامع:1077)

وصدق القائل:

إنا لنفـرح بالأيـام نقطعهـــا وكل يوم يُدنِي من الأجـل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا فإن الربح والخسران في العمل

– ولما حضر معاوية ﷺ الوفاة قال:" اقعدوني، فأقعدوه، فجعل يذكر الله تعالى ويُسبِّحه ويُقدِّسه، ثم قال مخاصمًا نفسه: الآن تذكر ربك يا معاوية بعد الانحطام والانهدام، ألا كان ذلك وغصن الشباب نضير ريَّان، وبكى حتى علا بكاؤه، **ثم قال:**

هو الموت لا منجي من الموت والذي نحـاذر بعــد المـوت أدهى وأفظـع

– وكان الماوردي–رحمه الله– يقول:

أقبـل على صلواتك الخمس كم مصبح وعساه لا يمسي

واستقبل اليوم الجديـد بتوبـة تمحو ذنوب صحيفة الأمس

فليفعلن بوجهك الغض البِلى فعل الظلام بصـورة الشمس

فكما تشرق الشمس صافية مشرقة، ينتابها الظلامُ فتغرب ليس فيها أشعة، فكذلك حال الوجه في بداية نضارته وشبابه، ثم يتغيَّر بالهرم ويذهب نضارته.

فمَن علم أن فترة الشباب ضيف لا يعود، وفرصة لا تعوَّض؛ عمد إلى تعميرها بطاعة الله، ومَن فرَّط وقصَّر؛ ذهب الشباب محسوبًا عليه، وندم حيث لا ينفع الندم[1].

8ـ اغتنم فرصة الحياة:

الحياة فرصة وغنيمة للتزود من الطاعات والأعمال الصالحة، ومما يدل على أن الحياة غنيمة أن النبي ﷺ نهى عن تمني الموت، لأن بالموت تنقطع الأعمال، فعمر الإنسان لا يزيده إلا خيرًا، إن كان محسنًا؛ ازداد إحسانًا وخيرًا، وإن كان مسيئًا فلعله أن يقلع عن الذنب ويتوب إلى علام الغيوب.

وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا يتمنَّينَّ أحدُكم الموتَ، إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعلّه أن يَسْتَعْتِبَ[2] ".

– وفي لفظ مسلم:" لا يتمنَّ أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمّره إلا خيرًا ".

وقد عاد النبي ﷺ عمه العباس ﷺ وهو مريض، فتمنّى العباس الموت، فقال له النبي ﷺ: يا عم! لا تتمنَّ الموت، فإنك إن كنت محسنًا، فإن تُؤَخَّر تزدد إحسانًا إلى إحسانك خير لك، وإن كنت مسيئًا فإن تُؤَخَّر فتُسْتَعْتَب من إساءتك خير لك، فلا تتمنَّ الموت ". (رواه الإمام أحمد) (صحيح الترغيب والترهيب: 3398)

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لن يدخل أحدًا عملُه الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا. ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته فسددوا

1– هناك مزيد من الحديث عن الشباب في الوصية: السابعة.

2– ومعنى يستعتب: أي يسترضي الله بالإقلاع والاستغفار. (فتح الباري). وقيل: يستعتب: أي يرجع عن موجب العتب عليه.

وقاربوا، ولا يتمنينّ أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب ".

قال الحافظ –رحمه الله– في" الفتح:136/10" عند قول النبي ﷺ:" إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب" فيه إشارة إلى أن المعنى في النهي عن تمني الموت والدعاء به هو انقطاع العمل بالموت، فإن الحياة يتسبب منها العمل، وبالعمل يحصل زيادة الثواب، ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد فهو أفضل الأعمال ".

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يتمنّى أحدُكم الموت ولا يَدْعُ به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمِنَ عُمُره إلا خيرًا ".

وممَّا يدل على أن زيادة العمر للمؤمن زيادة في الخير له ما أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه عن طلحة ابن عبيد الله ﷺ:" أن رجلين من بَليّ قدما على رسول الله ﷺ وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر، فغزا المجتهد منهما فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة، ثم تُوُفِّيَ، قال طلحة: فرأيت في المنام: بينا أنا عند باب الجَنَّة، إذا أنا بهما، فخرج خارج من الجَنَّة، فأَذِن للذي تُوُفِّيَ الآخر منهما، ثم خرج، فأَذِن للذي استشهد، ثم رجع إليَّ فقال: ارجع، فإنك لم يأن لك بعد، فأصبح طلحة يُحدِّث به الناس، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، وحدَّثوه الحديث فقال: من أي ذلك تعجبون؟ فقالوا: يا رسول الله! هذا كان أشد الرجلين اجتهادًا، ثم استشهد، ودخل هذا الآخر الجَنَّة قبله، فقال رسول الله ﷺ: أليس قد مكث هذا بعده سنة؟ قالوا: بلى، قال: وأدرك رمضان؛ فصام وصلَّى كذا وكذا من سجدة في السَّنَة؟ قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ:" فما بينهما أبعد ممَّا بين السماء والأرض ". (صححه الألباني في صحيح ابن ماجه:3171)

ومما يدل على أن الحياة نعمة وغنيمة، أن النبي ﷺ كان إذا استيقظ من النوم حمد الله تعالى على أن مد له في عمره حتى يعبده ويزداد فضلًا وإحسانًا.

فقد أخرج البخاري من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال:" كانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا أرَادَ أنْ يَنَامَ قالَ: باسْمِكَ اللَّهُمَّ أمُوتُ وأَحْيَا، وإذَا اسْتَيْقَظَ مِن مَنَامِهِ قالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أحْيَانَا بَعْدَ ما أمَاتَنَا وإلَيْهِ النُّشُورُ ".

- **خير الناس مَن طال عمره وحسن عمله:**

– فقد أخرج الإمام أحمد والدارمي عن أبي بكرة ﷺ أن رجلًا قال:" يا رسول الله، أي الناس خير؟ فقال النبي ﷺ: من طال عُمُره، وحسن عمله، قالوا: يا رسول الله، وأي الناس شر؟ قال: مَن طال عُمُره وساء عمله ".

– وأخرج الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال:" إن من السعادة أن يطول عمر العبد، ويرزقه الله الإنابة ".

– وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن أبي شيبة والبزار عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ألا أنبئكم بخيركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال:" خياركم أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أعمالًا ".

طلب أحدهم الموت، فقيل له: لا تفعل، لساعة تعيش فيها تستغفر الله؛ خير لك من فوت الدهر.

وقيل لشيخ كبير: أتحب الموت؟ قال: لا، قيل: ولم؟ قال: ذهب الشباب وشره، وجاء الكبر وخيره، إذا قمت، قلت: بسم الله، وإذا قعدت قلت: الحمد لله، فأنا أحب أن يبقى لي هذا ".

والموتى في قبورهم يتمنون زيادة في أعمالهم بتسبيحة أو بركعة. ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا للتوبة، وإصلاح الزاد، فلا يقدرون على ذلك؛ قد حيل بينهم وبين العمل.

ورؤي بعضهم في المنام فقال: ندمنا على أمر عظيم، نعلم ولا نعمل، وأنتم تعملون ولا تعلمون، والله لتسبيحة أو تسبيحتان، أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها ".

قال سعيد بن جبير–رحمه الله–:"كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة ".

فالإنسان إذا توضأ غفر له ما تقدم من ذنبه، وإذا قال الذكر عقب الوضوء فتحت له أبواب الجنة الثمانية، وإذا سعى إلى المسجد فله بكل خطوة حسنة، ويمحى عنه خطيئة، ويرفع له درجة، ويوم الجمعة له بكل خطوة عمل سنة أجر قيامها وصيامها، وإذا صام في يوم نافلة باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا، وفي رواية: مائة عام، وفي رواية: خمسمائة عام، وإذا تصدق بصدقة صغيرة، فإن الله يقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل، وإذا حج رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإذا صلى في المسجد النبوي فإن الصلاة فيه بألف صلاة، والصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وإذا جامع زوجته فله أجر، وإذا أطعم الفقير له أجر، وإذا أرشد ضالًا له أجر، وإذا قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات، وإذا قرأ" قل هو الله أحد" فإنها تعدل ثلث القرآن، وإذا استغفر

للمؤمنين والمؤمنات فله بكل مؤمن ومؤمنة حسنة، وإذا قال:" سبحان الله العظيم وبحمده" غرست له نخلة في الجنة يمشي في ظلها بالفرس سريع العدو لا يقطعها،... وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

وبموت الإنسان تنقطع كل هذه الأعمال، وهو لا إلى دنياه عائد ولا في حسناته زائد، وهنا يتمنى أن لو عاد إلى الدنيا مرة أخرى ليصلح الزاد ليوم الميعاد.

اعلم أخي الحبيب أن أكثر صراخ أهل القبور: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ(99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (المؤمنون: 99،100)

وقد أخرج ابن المبارك في" الزهد" وابن أبي شيبة في" المصنف" والطبراني في" المعجم الأوسط" وأبو نعيم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرٍ دُفِنَ حَدِيثًا فَقَالَ:" رَكْعَتَانِ خَفِيفَتَانِ مِمَّا تَحْقِرُونَ وَتَنْفِلُونَ يَزِيدُهُمَا هَذَا فِي عَمَلِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ ". (صحيح الجامع: 3518)

- **فعليك أخي الحبيب أن تستغل فرصة الحياة وتأخذ من حياتك لموتك.**

فقد أخرج ابن أبي الدنيا في" قصر الأمل" والحاكم والبيهقي في" شعب الإيمان" عن عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما– قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لرجلٍ وهو يَعِظُه:" اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ ". (صحيح الترغيب والترهيب: 3355)

وهذه الخمْسةُ لا يُعْرَفُ قَدْرُها إلَّا بعدَ زَوالِها.

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– قال: أخَذَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بمَنْكِبِي، فَقَالَ:

" كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. وكانَ ابنُ عُمَرَ يقولُ: إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ ".

فاغتنم أخي الحبيب حياتك، فأنت في أمنية كثير من الأموات.

أزف الرحيل وما حصل الزاد، يا لِرحيلك ما أعجله! يا لِسفرك ما أطوله! يا لِطريقك ما أهوله! تنبَّه أيها الشاب لاغتنام العمل، تيقَّظ أيها الكهل قبل خيبة الأمل، بادِرْ أيها الشيخ، فكأن قد قيل: رحل، يا من تُعَدُّ عليه أنفاسُه: استدرِكْها، يا مَن ستفوت أيامه: أدرِكها، أعزُّ الخلق عليك نفْسُك فلا تُهلِكها. **(من كتاب "رؤوس القوارير" لابن الجوزي)**

وأخيرًا... على كل إنسان منا أن يغتنم كل فرصة تتاح له قبل أن يُحال بينه وبينها، فالأيام تسير والفرص تزول.

وانظر إلى عُكّاشَة بن مِحْصَنٍ ﷺ كيف اغتنم هذه الفرصة والتي جاء ذكرها في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له من حديث ابن عبَّاسٍ–رضي الله عنهما– عَنِ النبيّ ﷺ قالَ:" عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النبيَّ ومعهُ الرُّهَيْطُ، والنبيَّ ومعهُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، والنبيَّ ليسَ معهُ أحَدٌ، إذْ رُفِعَ لي سَوادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أنَّهُمْ أُمَّتِي، فقِيلَ لِي: هذا مُوسَى عليه السلام وقَوْمُهُ، ولَكِنِ انْظُرْ إلى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فإذا سَوادٌ عَظِيمٌ، فقِيلَ لِي: انْظُرْ إلى الأُفُقِ الآخَرِ، فإذا سَوادٌ عَظِيمٌ، فقِيلَ لِي: هذِه أُمَّتُكَ ومعهُمْ سَبْعُونَ ألْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ. ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخاضَ النَّاسُ في أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ، فقالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسولَ اللهِ ﷺ، وقالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا في الإسْلامِ ولَمْ يُشْرِكُوا باللَّهِ، وذَكَرُوا أشْياءَ فَخَرَجَ عليهم رَسولُ اللهِ ﷺ، فقالَ:" ما الذي تَخُوضُونَ فِيهِ؟ فأخْبَرُوهُ، فقالَ:" هُمُ الَّذِينَ لا يَرْقُونَ، ولا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَتَطَيَّرُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقامَ عُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ، فقالَ: ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، فقالَ: أنْتَ منهمْ، ثُمَّ قامَ رَجُلٌ آخَرُ، فقالَ: ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، فقالَ: سَبَقَكَ بها عُكّاشَةُ ".

فالفرصة إن لم يغتنمها صاحبها انقلبت حسرة:

ولا أدل على ذلك من قصة كعب بن مالك ﷺ عندما تخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك والحديث عند البخاري ومسلم أنه قال في حديث طويل:.... فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ معهُ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ معهُمْ، فأرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شيئًا، وَأَقُولُ في نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ علَى ذلكَ، إذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذلكَ يَتَمَادَى بي حتَّى اسْتَمَرَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فأصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ معهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِن جَهَازِي شيئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شيئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذلكَ يَتَمَادَى بي حتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ....". الحديث

وصدق القائل:

ليس في كل ساعة وأوان تتهيأ صنائع الإحسان
فإذا أمكنت فبادر إليها حذرًا من تعذر الإمكان

وأعلم أيها المشتاق... أن الفرصة إذا لم يغتنمها صاحبها انقلبت إلى حسرة. وقد تتهيأ لك الأسباب اليوم ولا تتهيأ غدًا. فازرع اليوم لتحصد في الغد وإن الغد لقريب. واعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبده خيرًا شرح صدره لما فيه فلاحه ونجاته واستعمل جوارحه في مرضاته.

والسعيد الموفق إذا جاءته الموعظة انفتح لها قلبه ونشطت للعمل عليها جوارحه، أولئك لهم البشرى، **كما قال المولى سبحانه:** ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ(17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر:17،18)

الوصية الثانية: اقتحم العقبات بقوة:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ(4) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ(5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا(6) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ(7) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ(8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ(9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ(10) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ(11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ(12) فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ (سورة البلد:4-13)

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا. **ثم قال في نعم الدين:** ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي. فهذه المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكر الله على نعمه، وأن لا يستعين بها على معاصيه، ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذلك. **(تفسير السعدي)**

وبعد بيان هذه النعم الجليلة التي أنعم الله بها سبحانه على الإنسان، أتبع سبحانه ذلك بحضه على المداومة على فعل الخير، وعلى إصلاح نفسه، **فقال تبارك وتعالى:** ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ(11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَةٍ(12) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ(13) يَتِيمًا ذا مَقْرَبَةٍ(14) أَوْ مِسْكِينًا ذا مَتْرَبَةٍ﴾والفاء في قوله سبحانه: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ للتفريع على ما تقدم، والمقصود بهذه الآية الحض على فعل الخير بدل الشر.

ومعنى ﴿اقْتَحَمَ﴾: من الاقتحام للشيء، بمعنى دخوله بشدة. يقال: اقتحم الجنود أرض العدو، إذا دخلوها بقوة وسرعة، وبدون مبالاة بارتكاب المخاطر. **والعقبة في الأصل:** الطريق الوعر في الجبل، والمراد بها هنا: مجاهدة النفس، وقسرها على مخالفة هواها وشهوتها، وحملها على القول والفعل الذي يرضي الله تعالى. **والمعنى:** لقد جعلنا للإنسان عينين ولسانا وشفتين. وهديناه النجدين. فهلا بعد

كل هذه النعم، فعل ما يرضينا، بأن جاهد نفسه وهواه، وبأن قدم ماله في فك الرقاب، وإطعام اليتامى والمساكين.

وقد استعيرت العقبة لمجاهدة النفس، وحملها على الإنفاق في سبيل الخير، لأن هذه الأعمال شاقة على النفس، فجعلت كالذي يتكلف سلوك طريق وعر.. ويصح أن تكون" لا" هنا، على معناها الحقيقي وهو النفي، فيكون المعنى: أن هذا الإنسان الذي جعلنا له عينين.. لم يشكرنا على نعمنا، فلا هو اقتحم العقبة، ولا هو فعل شيئا ينجيه من عذابنا. والاستفهام في قوله سبحانه: ﴿**وَمَآ أَدْرَاكَ مَا العقبة**﴾ لتفخيم شأنها، والتهويل من أمرها، والتشويق إلى معرفتها. والكلام على حذف مضاف، والتقدير: وما أدراك ما اقتحام العقبة؟". اهـ بتصرف واختصار (**التفسير الوسيط**)

والخلاصة: أن كل إنسان يريد أن يدخل الجنة بسلام فعليه أن لا يتكاسل ولا يتوانى ويقتحم العقبات التي تقابله (مجاهدة النفس، والهوى، والدنيا، والشيطان) بقوة، وعزم، وهمة عالية حتى يجاوزها.

الوصية الثالثة: بع نفسك لله تعالى تربح الجنة:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (سورة التوبة: 111)

قال السعدي–رحمه الله– في تفسير هذه الآية:" يخبر تعالى خبرا صدقا، ويعد وعدا حقا بمبايعة عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهو أنه ﴿**اشْتَرَى**﴾ بنفسه الكريمة ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**﴾ فهي المثمن والسلعة المبيعة. ﴿**بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات والأفراح، والمسرات، والحور الحسان، والمنازل الأنيقات. وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لإعلاء كلمته وإظهار دينه فـ ﴿**يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**﴾ فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من الله مؤكدة بأنواع التأكيدات. ﴿**وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ**﴾ التي هي أشرف الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق. ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا**﴾ أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله، ﴿**بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ**﴾ أي: لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضًا، ويحث بعضكم بعضًا. ﴿**وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ الذي لا فوز

أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان. وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي كتاب رقم، وهي كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق ". اهـ

وأخرج الإمام أحمد من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يا كعبُ بنَ عُجرةَ! الناسُ غاديان: فمبتاعٌ نفسَه فمعتقُها، وبائعٌ نفسَه فموبقُها ". (صحيح الترغيب والترهيب: 866)

وأخرجه الإمام مسلم من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها ".

وقوله ﷺ:" **كلُّ النَّاسِ يَغْدُو**": بمَعنَى يُبَكِّر، والغُدُوُّ: سَيرُ أوَّلِ النَّهارِ،" **فَبايِعٌ نَفْسَه؛ فَمُعْتِقُها، أَوْ مُوبِقُها**"، أي: كلُّ إنسانٍ يَسعى بنفسِه إلى طاعةِ اللهِ، فيكونُ مُنقِذًا لها منَ النَّار، أو يَسعَى بنفسِه إلى طاعةِ الشَّيطانِ وهَواه، فَيُهلِكُها بدُخولِها النَّارَ. **(أفاده النووي في شرحه على مسلم)**

الوصية الرابعة: استعن بالله تعالى واحرص على ما ينفعك:

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ".

وفي هذا الحديثِ يُبيِّنُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ" **المؤمنَ القويَّ**" يعني في إيمانِه، وليْس المرادُ بها قوَّةَ البدَنِ،" **خَيرٌ وأَحبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ منَ المُؤمنِ الضَّعيفِ**" وهو الَّذي في إيمانِه ضَعفٌ، "**وَفي كُلٍّ خيرٌ**" أي: في كلِّ واحدٍ مِن القويِّ والضَّعيفِ خَيرٌ؛ لاشتراكِهما في الإيمانِ، والقُوَّةُ المحمودةُ تَحتمِل وُجوهًا عديدةً؛ فمنها القُوَّة في الطَّاعةِ؛ فيكونُ المؤمنُ أكثرَ عَملًا، وأطولَ قيامًا، وأكثرَ صِيامًا وجهادًا وحجًّا. ومِنها القوَّةُ في عَزيمةِ النَّفسِ؛ فيكونُ أقدَمَ على العَدوِّ في الجِهاد وأشدَّ عزيمةً في تغييرِ المنكَرِ والصَّبرِ على إيذاءِ العدوِّ واحتمالِ المكروهِ والمشاقِّ في ذاتِ اللهِ. ومنها القوَّةُ بالمالِ والغِنَى؛ فيكونُ أكثرَ نَفقةً في الخيرِ وأقلَّ مَيلًا إلى طلَبِ الدُّنيا، والحِرص على جمْعِ شَيءٍ فيها، وغيرِ ذلك مِن وُجوهِ القُوَّةِ، وإنَّما يُذَمُّ

منها الَّتي تأتي بالتَّكبُّرِ والتَّجبُّرِ، والضَّعفُ الَّذي فيه خيرٌ هو الَّذي يَكونُ مِن لِينِ الجانبِ والانْكِسارِ للهِ عزَّ وجلَّ، ويُذَمُّ مِنْهُ ضَعْفُ العزيمةِ في القيامِ بحقِّ اللهِ عزَّ وجلَّ.

ويُوصي النَّبيُّ ﷺ المسْلمَ بقولِه:" **احْرِصْ على ما يَنفَعُكَ**" يعني: بالأخذِ بالأسبابِ، ومع الأخذِ بالأسبابِ اعتمِدْ على مُسبِّبِ الأسبابِ، وهو اللهُ سُبحانه وتَعالَى؛ ولهذا قال بعْدَ ذلك: "**واستَعِنْ باللهِ**"؛ لأنَّ الإنسانَ إذا أخَذَ بالأسبابِ ولم يَحصُلْ له عَوْنٌ وتَوفيقٌ مِن اللهِ تَعالَى، فلنْ يَحصُلَ ما يُريدُه، فمُجرَّدُ الأخذِ بالأسبابِ لا يَكْفي، بلْ يُحتاجُ إلى شَيءٍ وَراءَه، وهو تَوفيقُ اللهِ وإعانتُه على حُصولِ ذلك الشَّيءِ؛ فإنَّه لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ، والمرادُ بالأعمالِ النَّافعةِ: ما يَعودُ على الإنسانِ بخَيْرَيِ الدُّنيا والآخِرةِ مِن العِباداتِ والأعمالِ الصَّالحةِ ونَحوِ ذلك.

ثمَّ يَنهى النَّبيُّ ﷺ عن العَجزِ، والمرادُ به هنا: الكسَلُ، وهو ضِدُّ النَّشاطِ، وهو التَّثاقُلُ عمَّا لا يَنْبَغي التَّثاقُلُ عنه، ويَكونُ ذلك لعَدَمِ انْبعاثِ النَّفْسِ للخَيرِ مع وُجودِ القُدرةِ عليه؛ ولذلك كان النَّبيُّ ﷺ يَستعيذُ باللهِ منه.

فمَنْ عَمِل بتلك الوصيَّةِ وقام بها على وَجْهِها الأكمَلِ، ثمَّ أصابَتْهُ بعْدَ ذلك مُصيبةٌ، فلا يَقُلْ: "**لَوْ أنِّي فَعَلْتُ كان كذا وكذا**"؛ فإنَّ هذا القولَ غيرُ سَديدٍ، ولكنْ يَقولُ مُستَسْلِمًا وراضيًا، ومُؤمِّلًا الخَيرَ: "**قَدَّر اللهُ**"، أي: وَقَعَ ذلكَ بمُقتَضى قَضائِه وعلى وَفْقِ قَدَرِه، "**وما شاءَ فَعَلَ**"؛ فإنَّه فعَّالٌ لِما يُريدُ، ولا رادَّ لقَضائِه، ولا مُعقِّبَ لحُكمِه. وبعْدَ أنْ نَهى النَّبيُّ ﷺ عن قَولِ كلمةِ الشَّرطِ "**لَوْ**" في مِثلِ هذا الموضِعِ، نَبَّهَ على أنَّها "تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطانِ" مِن مُنازَعةِ القَدَرِ، والتَّأسُّفِ على ما فاتَ؛ لأنَّ فيها الاعتراضَ على القَدَرِ، والتَّحسُّرَ مِن وُقوعِه، كأنْ يقولَ الإنسانُ حِين تَنزِلُ به مُصيبةٌ: لوْ فَعَل كذا ما أصابه المرَضُ! فالمسْلمُ مُطالَبٌ بالتَّسليمِ للقَدَرِ، فما أرادَه اللهُ عزَّ وجلَّ واقعٌ لا مَحالةَ؛ إذْ قَضاءُ اللهِ وقَدَرُه لا يَتخلَّفُ، فما دامَ الإنسانُ قدِ اجتهَدَ في العملِ، وأخَذَ بالأسبابِ، مُستعينًا باللهِ، وطلَبَ الخَيرَ منه سُبحانه؛ فلا عليه بعْدَها إلَّا أن يُفَوِّضَ أمْرَه كلَّه للهِ، ولْيَعلَمْ أنَّ اختيارَ اللهِ عزَّ وجلَّ هو الخَيرُ، حتَّى وإنْ كان ظاهِرُ ما وَقَع له مَكروهًا، ولا يَستطيعُ أحدٌ مِن الخَلقِ دَفْعَ قَدَرِ الخالِقِ عزَّ وجلَّ وتَغييرَه دُونَ إذْنٍ مِنَ اللهِ، وإنِ اجتَمَعَتْ لذلك الدُّنيا بما فيها. **(الدرر السنية)**

يقول ابن القيم–رحمه الله– في" شفاء العليل ص:18:" فسعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص: هو بذل الجهد واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودًا، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصًا، وأن يكون حرصه على ما

ينتفع به، فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص، فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع. **وقد قال رسول الله ﷺ:" احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز ". (رواه مسلم)**

ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله، ومشيئته، وتوفيقه، أمره أن يستعين به ليجتمع له مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله، ولا تتم إلا بمعونته. فأمره بأن يعبده ويستعين به. وقوله:" **استعن بالله**"، أي: اطلب الإعانة في جميع أمورك من الله لا من غيره، كما قال تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، فإن العبد عاجز لا يقدر على شيء إن لم يعنه الله عليه، فلا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، وقد كان النبي ﷺ يقول في خطبته:" **الحمد لله نحمده ونستعينه** ". أي نطلب معونته. **ومن دعاء القنوت: "اللهم إنا نستعينك ". (رواه البيهقي وابن أبي شيبة وصححه الألباني في الإرواء:2/ ١٦٤). وأمر معاذ بن جبل ﷺ أن لا يدع في دبر كل صلاة أن يقول:" اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك". (رواه أبو داود وصححه الألباني)**

وكان من دعائه:" اللهم أعني ولا تعن علي ". (رواه أبو داود وصححه الألباني)

وإذا حقق العبد مقام الاستعانة وعمل به، كان مستعينًا بالله عزّ وجل متوكلًا عليه، راغبًا وراهبًا إليه؛ فيُحقِّقُ له مقام التوحيد، إن شاء الله تعالى.

وقوله ﷺ:" **ولا تعجز**"، وهو بكسر الجيم وفتحها، أي استعمل الحرص والاجتهاد في تحصيل ما ينفعك من أمر دينك ودنياك التي تستعين بها على صيانة دينك وصيانة عيالك، ومكارم أخلاقك، ولا تفرط في طلب ذلك، ولا تتعاجز عنه متكلًا على القدر، أو متهاونًا بالأمر، فتُنسب للتقصير وتُلام على التفريط شرعًا وعقلًا مع إنهاء الاجتهاد نهايته وبلاغ الحرص غايته، فلا بد من الاستعانة بالله والتوكل عليه والالتجاء في كل الأمور إليه، فمن ملك هذين الطريقين حصل على خير الدارين ". اهـ بتصرف

وقال ابن القيم أيضًا في" مدارج السالكين":" العجز ينافي حرصه على ما ينفعه، وينافي استعانته بالله، فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه ".

وقال ابن كثير–رحمه الله–:" الدين كله يرجع إلى العبادة والاستعانة، فالعبادة تبرؤ من الشرك، والاستعانة تبرؤ من الحول والقوة إلا بالله والتفويض إلى الله، وهذا المعنى في غير آية من القرآن **كقوله تعالى:** ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ **وقوله تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ **وقوله تعالى:** ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ **وقوله تعالى:** ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

والناس في أمر العبادة والاستعانة على أقسام:

أجلها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها، ولهذا كان من أفضل ما يُسأل الرب تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته، وهو الذي علمه النبي ﷺ لحبه معاذ بن جبل ﷺ فقال: **يا معاذ! والله إني لأحبك، فلا تدعن أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ". (رواه أبو داود وصححه الألباني)**

فأنفع الدعاء طلب العون من الله تعالى على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا وعلى دفع ما يضاده وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–:" تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

القسم الثاني: وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به، فلا عبادة ولا استعانة بل إن سأله أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته لا على مرضاة ربه وحقوقه؛ فإنه سبحانه يسأله من في السموات والأرض، يسأله أولياؤه وأعداؤه ويمُد هؤلاء وهؤلاء من عطائه وما كان عطاء ربك محظورًا، وأبغض خلقه عدوه إبليس، ومع هذا فقد سأله حاجة فأعطاه إياها ومتعه بها، ولكن لما لم تكن عونًا له على مرضاته كانت زيادة له في شقوته وبعده عن الله وطرده عنه، وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله إياه ولم يكن عونًا على طاعته كان مبعدًا له عن مرضاته قاطعًا له عنه ولابد.

القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة، **وهؤلاء نوعان: أحدهما:** القدرية القائلون بأنه قد فعل بالعبد الجميع مقدوره من الألطاف، وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل؛ فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها، وتعريف الطريق وإرسال الرسل وتمكينه من الفعل؛ فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها بل قد ساوى بين أوليائه وأعدائه في الإعانة، فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء،

ولكن أولياءه اختاروا لنفوسهم الإيمان وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر، من غير أن يكون الله سبحانه وفق هؤلاء بتوفيق زائد أوجب لهم الإيمان وخذل هؤلاء بأمر آخر أوجب لهم الكفر. فهؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة لا استعانة معه، فهم موكولون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد.

النوع الثاني: من لهم عبادات وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر، فضعفت عزائمهم وقصرت هممهم؛ فقل نصيبهم من (وإياك نستعين)، ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة، وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والنفوذ والتأثير بحسب استعانتهم وتوكلهم ولهم من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة استعانتهم

وتوكلهم، ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله.

القسم الرابع: وهو من شهد تفرد الله بالنفع والضر وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولم يَدُرْ مع ما يحبه ويرضاه، فتوكل عليه واستعان به على حظوظه وشهواته وأغراضه، وطلبها منه وأنزلها به فقضيت له، وأسعف بها سواء كانت أموالًا أو رياسة أو جاهًا عند الخلق، ولكن لا عاقبة له؛ فإنها من جنس الملك الظاهر والأموال لا تستلزم الإسلام فضلًا عن الولاية والقرب من الله؛ فإن الملك والجاه والمال والحال معطاة للبر والفاجر والمؤمن والكافر. ولا شك أننا نرى هذا النموذج في النجوم والمشاهير الذين يبذلون أقصي جهدهم في التميز في الفن والرياضة والسياسة وغيرها من المجالات ثم هم بعد ذلك أبعد ما يكونون عن الله عز وجل. فمن استدل بشيء من ذلك على محبة الله لمن أتاه إياه ورضاه عنه، وأنه من أوليائه المقربين فهو من أجهل الجاهلين، وأبعدهم عن معرفة الله ومعرفة دينه، والتمييز بين ما يحبه ويرضاه ويكرهه ويسخطه؛ فالحاصل من الدنيا كالملك والمال إن أعان صاحبه على طاعة الله ومرضاته وتنفيذ أوامره ألحقه بالملوك العادلين البررة وإلا فهو وبال على صاحبه ومبعد له عن الله وملحق له بالملوك الظلمة والأغنياء الفجرة ". اهـ بتصرف

الوصية الخامسة: عليك بملازمة الصبر عموماً؛ وفي رمضان خصوصاً:

الصوم في لسان العرب يقصد به الصبر.

قال ابن الأنباري–رحمه الله–:" إنما سُمي الصيام صبرًا، لأنه حبس النفس على المطاعم والمشارب والمناكح والشهوات **وكما هو معلوم أن الصبر ثلاثة أنواع: الأول:** الصبر على طاعة الله، **والثاني:** صبر على معصية الله، **الثالث:** الصبر على الأقدار المؤلمة ".

وعبادة الصيام تجمع هذه الأنواع الثلاثة من الصبر. فإن اجتمع أنواع الصبر الثلاثة في عبادة، إنها والله لعبادة عظيمة.

وقد سمى النبي ﷺ شهر رمضان: شهر الصبر، **كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن النمر بن تولب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ وَحَرِ صَدْرِهِ[1] فَلْيَصُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ[2]، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ". (صحيح الترغيب والترغيب: 2467)**

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول:" أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا ".

فالصبر من أعظم الأخلاق وأنفعها، ومن قل صبره اشتد جزعه، فسار صريع همومه، وفريسة غمومه.

فما أحوج المسلمين إلى الصبر في زمن تلونت فيه الشهوات وتزينت فيه المنكرات.

فما أحوج المسلمين إلى الصبر في زمن تسمى الفواحش بغير اسمها، وتبرز فيها الرذيلة بأبهى صورها.

فما أحوج المسلمين إلى الصبر في زمن انتشرت فيه الشبهات المضلة، والعقائد المنحرفة، والآراء المجردة من الأدلة.

فما أحوج المسلمين إلى الصبر في زمن يتخذ فيه الهوى؛ الإله المعبود، والمال؛ هو الهدف المنشود؛ واللذة الفانية؛ الغاية المطلوبة، فتنتهك المحرمات، وتنتشر السيئات.

1– وَحَر صَدْرِهِ الوحر بفتحتين،: أي: غشه ووساوسه، أو حقده، أو غيظه، أو عداوته، وقيل أشد الغضب، وبالجملة فالمراد تنقية الصدر.

2– شهر الصبر: هو شهر رمضان، وصيامه واجب، وثلاثة أيام من كل شهر من أوله أو من آخره أو وسطه، وهذا صيام نفل وليس واجبا.

فما أحوج المسلمين إلى الصبر على الأذى من إخوانهم، لأن المسلم لا يقابل السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح.

فما أحوج المسلمين إلى الصبر على الأذى حين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فطريق الدعوة إلى الله ليس مفروشة بالورود، لكن يحتاج إلى جهد كبير لإنقاذ الأمة مما هي فيه من ظلمات الجهل والمعاصي، لكن كل أذى يهون في سبيل الله ولطلب مرضاته والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

الوصية السادسة: بادر بالأعمال الصالحة قبل أن يأتيك الأجل:

اعلم أن قصر الأمل مع حب الدنيا متعذر، وانتظار الموت مع الانكباب عليها غير متيسَّر، فالقلب إذا امتلأ بأحدهما فإنه لا يسع الأخرى، كالدنيا والآخرة والمشرق والمغرب، بقدر ما تقترب من أحدهما تبتعد من الأخرى، فقصر الأمل يجعل الإنسان يسارع بحسن العمل، وبهذا يقترب من الآخرة، ويبتعد عن الدنيا.

والنبي ﷺ كان يحث على المبادرة للعمل الصالح قبل أن يُفتن الإنسان، أو يُشغل، أو يموت.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا".

وأخرج ابن ماجه والبيهقي من حديث جابرﷺ قال:" خطبنا رسول الله ﷺ فقال: "يا أيها الناس، توبوا قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم، بكثرة ذكركم، وكثرة الصدقة في السر والعلانية؛ تُرْزقوا وتُنْصَروا وتُجْبَرُوا ". (ضعيف الجامع: 6386)

وأخرج الترمذي والحاكم بسند فيه مقال من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" بادِروا بالأعمال سبعًا: هل تنظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدَّجَّال، فشر غائب ينتظر أو السَّاعَة، فالسَّاعَة أدهى وأمر". (ضعيف الجامع: 2315)

وأخرج الحاكم في "المستدرك" والبيهقي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: "اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك". (صحيح الجامع: 1077)

فيا عجبًا... أَنِسَ بالدنيا مفارُقها، وأَمِنَ النار واردُها، وكيف يغفل من لا يغفل عنه؟!، كيف يفرح بالدنيا مَن يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟ كيف يلهو مَن يقوده عمره إلى أجله، وحياته إلى موته؟!

فالمبادرة... المبادرة

قال الحسن–رحمه الله–:" المبادرة المبادرة! فإنما هي الأنفاس، لو قد حُبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقرَّبون بها إلى الله ﷻ رحم الله امرءًا نظر لنفسه، وبكى على ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ **(مريم: 84)** ثم يبكي ويقول: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك ". **(قصر الأمل: ص 106)**

وقال محمد بن علي الباقر–رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ **(مريم: 84)** قال: النَّفَس. **(صفة الصفوة: 159/3) (قصر الأمل: ص 126)**

ونقل هذا القول عن ابن عباس–رضي الله عنهما– كما في " تفسير ابن كثير:137/3".

وكان حسان بن أبي سنان–رحمه الله– يقول:" بادر انقطاعَ عملك، فإن الموت إذا جاء انقطع البرهان". **(قصر الأمل: ص 111)**

وقال المنذر أبو يحيى: سمعتُ مالك بن دينار يقول لنفسه: " ويحك! بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر!، قال: فسمعته يقول ذلك ستين مرة ". **(قصر الأمل: ص 105)**

وصدق أبو محمد حبيب العجميّ–رحمه الله– حيث قال:" لا تقعدوا فُرَّاغًا؛ فإن الموت يطلبكم ". **(قصر الأمل: ص 105)**

قال عمر بن عبد العزيز–رحمه الله– لأبي حازم:" أوصني: فقال له أبو حازم: اضجع ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك السَّاعَة، فخُذ به الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك السَّاعَة فدعه الآن، فلعل تلك السَّاعَة قريبة ".

فلا ترجِ فعل الخير إلى غدٍ لعل غدًا يأتي وأنت فقيد

وكان أبو معاوية الأسود يقول لنفسه:" إن كنت يا أبا معاوية، تريد لنفسك الجزيل، فلا تنامنَّ الليل ولا تقيل، قدِّم صالح الأعمال، ودع عنك كثرة الأشغال، بادر ثم بادر قبل نزول ما تُحاذر، ولا تهتم بأرزاق من تُخَلِّف، فلستَ أرزاقَهم تُكَلَّف ". **(حلية الأولياء: 272/8) (صفة الصفوة:271/4)**

قال بعضهم يُوبّخ نفسه ويعظها:" يا نفس، بادري بالأوقات قبل انصرامها، واجتهدي في حراسة ليالي الحياة وأيامها، فكأنك بالقبور وقد تشققت، وبالأمور وقد تحقَّقت، وبوجوه المتقين وقد أشرقت، وبرؤوس العصاة وقد أطرقت، **قال تعالى:** ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾**(السجدة:12)** يا نفس أما الورعون فقد جدُّوا، وأما الخائفون فقد استعدُّوا، وأما الصالحون فقد فرحوا وراحوا، وأما الواعظون فقد نصحوا وصاحوا. العلم لا يحصل إلا بالنَصَبِ، والمال لا يُجمَع إلا بالتعب ".

فيأيها العبد الحريص على تخليص نفسه، إن عزمت فبادر، وإن همت فثابر، واعلم أنه لا ينال العِزَّ والمفاخر إلا مَن كان في الصف الأول.

جاء في" حلية الأولياء:69/9" و" قصر الأمل" لابن أبي الدنيا ص:92 عن أبي زكريا التيمي قال:" بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أُتي بحجر منقور[1]، فطلب من يقرأه، فأتي بوهب بن منبه؛ فقرأه؛ فإذا فيه: "ابن آدم لو رأيت قرب ما بقي من أجلك، لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدًا ندمك، لو قد زلَّت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبانَ منك الولد القريب، ورفضك الوالدُ والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، فبكى سليمان بكاءً شديدًا ".

أحبتي في الله... مَن خاف هجوم الأجل، قصر الأمل، وبادر بحسن العمل.

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن خاف أدلج [2]، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة ".

أدرك الصالحون خطورة الأمر، فشمَّروا عن ساعد الجد، وأيقنوا أن الحياة الحقيقة والسعادة الأبدية، إنما هي حياة الأبرار في دار الرحمن حيث جنات النعيم، فكان كل ما يشغل بالهم ويسيطر على

1- منقور: مكتوب فيه، يُقال: نُقر في الحجر، أي كتب فيه.

2- أدلج: سار في أول الليل.

وجدانهم أن يبذلوا قصارى جهدهم؛ ليفوزوا بهذا النعيم؛ وينعموا برؤية وجه الله الكريم.

فها هو ابن عمر–رضي الله عنهما–:" كان يقوم من الليل فيتوضأ ويُصلِّي، ثم يغفو إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويُصلِّي، ثم يغفو إغفاء الطير، ثم يقوم يُصلِّي، يفعل ذلك مرارًا ".

واجتهد الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري ﷺ قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له:" لو أمسكت أو رفقتَ بنفسك بعض الرفق؟، فقال: إن الخيل إذا أُرسلت فقاربتْ رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها؛ والذي بقي من أَجَلي أقل من ذلك! قال: فلم يزل على ذلك حتى مات!". **(قصر الأمل: ص 108)**

وكان أبو مسلم الخولاني –رحمه الله– يقول كما في "صفة الصفوة":" لو رأيت الجنة عيانًا ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عيانًا ما كان عندي مستزاد".

وقال أبو حمزة –رحمه الله– كما في "تذكرة الحفاظ":" لو قيل لصفوان بن سليم السَّاعَة غدًا، ما كان عنده مزيد عمل ".

وكان عمير بن هانئ –رحمه الله–:" يُسبِّح كل يوم مائة ألف تسبيحة ".

ونحن ربما يمرُّ اليوم ولا نُسبِّح حتى تسبيحة واحدة في اليوم، **في حين أن النبي ﷺ قال فيما يرويه الترمذي:" مَن قال سبحان الله العظيم وبحمده؛ غُرِست له نخلة في الجنة ".**

فكم ضيَّعنا من نخيل؟ كم ضيَّعنا من نخيل؟

وقال أبو بكر بن عياش–رحمه الله–:" ختمتُ القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة ".

وهكذا بادر القوم بالعمل؛ مخافة أن يفاجئهم الأجل؛ فبذلوا النفس والنفيس؛ لأنهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى.

قال اللبيدي–رحمه الله–:" وجدت بعد موت أبي إسحاق الجينياني–رحمه الله– رقعة تحت حصيرة مكتوبة بخطه: رجل وقف له هاتف، فقال له: أحسن أحسن عملك، فقد دنا أجلك، فقال لي ولده

عبد الرحمن: إنه كان إذا قصر في العمل، أخرج الرقعة فنظر فيها ورجع إلى جدّه ".

وقال سفيان الثوري–رحمه الله–: "رأيت شيخًا في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي؛ لو أتاني ما أمرتُه بشيء، ولا نهيتُه عن شيء، ولا لي على أحدٍ شيء، ولا لأحد عندي شيء!". **(قصر الأمل: ص 71)** **(إحياء علوم الدين: 663/4)**

وقال القعقاع بن حكيم:" لقد استعددتُ للموت منذ ثلاثين سنة! فلو أتاني ما أحببت تأخيرَ شيء عن شيء" **(قصر الأمل: ص 71)**، **(إحياء علوم الدين:663/4)**

مازال يلهج بالرحيل وذكره حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه مستيقظـا متشمرًا ذا أُهبة لم تلهه الآمال

- **بل كانوا يحرصون على التزوُّد من الطاعة حتى في آخر لحظات حياتهم.**

يقول أبو محمد الجريري–رحمه الله–:" كنت واقفًا على رأس الجنيد في وقت وفاته، وكان يوم الجمعة، وهو يقرأ القرآن، فقلت له: يا أبا القاسم ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد، رأيت أحدًا أحوج مني في هذا الوقت؟ هو ذا تُطْوَى صحيفتي".

وقال بشر بن عبد الله النهشلي: "دخلنا على أبي بكر النهشلي وهو في الموت، وهو يومئ برأسه – يرفعه ويضعه – كأنه يُصلِّي، فقال له بعض أصحابه: في مثل هذه الحال رحمك الله؟ قال: إنني أبادر طيَّ الصحيفة!". **(سير أعلام النبلاء: 333/7)** **(وقصر الأمل: ص113)**

بل انظر لهذا الموقف الجليل لعُمير بن الحمام ﷺ .

فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال:" إنه في غزوة بدر، فلما دنا المشركون قال النبي ﷺ: " قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض"، فقال عُمير بن الحُمام الأنصاري: يا رسول الله! جنة عرضها السماوات والأرض، قال: نعم، فقال عمير: بخ...بخ[1]، فقال رسول

1– بخ بخ: كلمة تُقال لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

الله ﷺ: ما يحملك على قولك: بخ... بخ، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة؛ فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتلَ".

وختامًا...أُذَكِّر بقول رب العالمين، حيث قال في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ **(فاطر:5)**

فالدنيا دار غرور، فمن شُغِل بها فهو المغرور، والأيام تسرع وتدور، والعمر يذهب ولا يعود، **ومع كل طلعة شمس ينادي اليوم ويقول:**" يا ابن آدم أنا يوم جديد، وعلى ما تعمل فيّ شهيد، وإذا ذهبت عنك لم أرجع إليك، فقدِّم ما شئت تجده بين يديك، وأَخِّر ما شئت فلن أعود أبدًا إليك ".

فغفل كثيرٌ منا عن هذا؛ فأخذ يلهث وراء الملذات، والانغماس في الشهوات، والوقوع في المحرمات؛ فتضيع الأوقات، وتفنى الأعمار، ويأتيه الموت فجأة، فيجتمع عليه سكرة الموت، مع حسرة الفوت، **فيصرخ قائلًا:** ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ...﴾ **(المؤمنون:100،99)**

فيا غافلًا عن نفسه! أمرك عجيب، يا قتيل الهوى! داؤك غريب، يا طويل الأمل ستدعى فتجيب، وهذا عن قليل، وكل آت قريب، هلا تذكَّرت لحدك، وكيف تبيت وحدك، ويباشر الثرى خدك، وتقتسم الديدان جلدك، ويضحك المحبُّ بعدك، ناسيًا عنه بعدك؟! والأهل مذ وجدوا المال ما وجدوا فقدك، إلى متى وحتى متى تترك رشدك؟! أما تحسن أن تحسن قصدك؟! الأمر جد مجد، فلازم جدك. **(التبصرة:206/2)**

أخي الحبيب... الموت أول وارد عليك، والقبر أقرب منك إليك، فاستعد لسفرك، وتأهَّب لرحيلك، وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن؛ إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم، ولا تغترّ بما اغترّ به البطالون قبلك، من طول آمالهم، فقصروا عن ربهم وزادهم، فندموا عند الموت أشد الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا حمدوا أنفسهم على التقصير.

(التبصرة لابن الجوزي:386/1)

أيها السكران بالآمال قد حان الرحيلُ
ومشيب الرأس والفَوْدَين للموت دليلُ
فانتبه من رقدة الغفلة فالعمر قليلُ
واطرح سوف وحتى فهما داءٌ دخيلُ

يقول خليد العصري–رحمه الله–:" كلنا قد أيقن بالموت، وما نرى له مستعدًا! وكلنا قد أيقن بالجنة، وما نرى لها عاملًا! وكلنا قد أيقن بالنار، وما نرى لها خائفًا! فعلام تعرّجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت؟ فهو أول واردٍ عليكم من الله، بخير أو بشر! يا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا ". (**صفة الصفوة: 231/3**)

إلهي لا تعـــذبني فـــإني مُقِرّ بالـذي قـد كـان مني
وما لي حيلــة إلا رجائي لعفوك إن عفوت وحسن ظنّي
وكم من ذلــةٍ لي في الخطايا وأنت عليّ ذو فضل ومَـنّ
أُجن بزهـــرة الدنيـا جنونًا وأقطع طول عمري بالتمني
يظن النـاس بي خيــرًا وإني لشر الخلق إن لـم تـعفُ عني

الوصية السابعة: وصيتي للشباب:

أحزن عندما أرى شباب الأمة في ضياع وهوان، وهذا نراه رأي العين، ويزداد حزني عندما أرى هذا أيضًا في زمن النفحات، ومواسم الطاعات والخيرات. فشباب اليوم ليس له هدف واضح في الحياة، وإذا ضاع الهدف فلا ترى إلا شبابًا يترنَّح لا يدري أين الطريق، شبابًا يعيش لشهواته، وأصبح حب فتاة أسمى غاياته، وسماع أغنية أو الفوز ببطولة أقصى طموحاته.

فهؤلاء الشباب غابت عنهم الأهداف والغايات، فلا يدركون ما يريدون، وقد أسلموا زمام أمرهم لعدوّهم ليُحدِّد لهم مصيرهم، فسعى هذا العدو لمسخ الهوية الإسلامية وتخدير هؤلاء الشباب، والعمل على إفساد دينهم والذي هو عصمة لأمرهم، ونجاة لهم في معاشهم ومعادهم. فعلى الشباب أن يدركوا المخطَّط الذي يدبر لهم، الخطر المحدق ببلادهم، ونحن على يقين أن الشباب بما يتصف به من روح الإقدام والإقبال، وصفاء الذهن والعقل، ووفرة الطاقة والقوة تجعله هو الأقدر على قيادة الأمة وبنائها، والعمل على صناعة حضارتها. فلهذا ولغيره يبذل أهلُ الحق والعلماء الربانيون قصارى جهدهم لإحياء الإيمان في نفوس الشباب، وصرفهم عمَّا يضر دينهم ودنياهم، وصرف طاقتهم فيما يعود عليهم بالنفع وعلى أمتهم.

والله أسأل أن يحفظ شبابنا وأُمَّتنا من كل سوء، وأن يأخذ بأيديهم لما يُحبّه ويرضاه.

فعلى الشباب أن يعلم ماذا يُرَاد بهم.

إن شباب الإسلام يتعرَّضُون لمؤامرة كبيرة من قِبَل أعداء الإسلام، وهذه المؤامرة متعددة الوجوه والأشكال والأساليب، فالأعداء يعلمون جيدًا أن الشباب هم قوام الأمة، ومصدر قوتها، وسر نهضتها، وصُنَّاع مجدها، ومبعث عزّها وكرامتها، وهم قادة الغد، وأمل المستقبل، وعلى أكتافهم تقام حضارات وترفع أمجاد، وهم يعلمون يقينًا أن الشباب هم العمود الفقري للأمة، بصلاحهم تنصلح الأمة وتسود وتقود، وبفسادهم تفسد الأمة وتضيع. فالشاب المستقيم لبنة صالحة في بناء المجتمع، والشاب الفاسد معول هدم ينخر في جسد الأمة، فأعداء الإسلام على يقين بهذا، فهم يُقدِّرون أهمية الشباب ودوره في بناء الأمة، ويُخطِّطُون لإفساد الشباب وتبديد هذه الطاقات وتعطيلها، وذلك عن طريق إفساد عقول الشباب بالمخدرات المفسِدة، والأفكار المنحرفة، والمذاهب الباطلة، والدعوات المضللة، والأفلام الهابطة، والمسلسلات الساقطة، والمجلات الفاجرة، والأغاني الماجنة، والروايات الفاضحة، وتشويه الرموز، وتحطيم المُثُل العليا، والغرض من هذا كله أن ينحرف الشباب عن الهدى إلى الضلال.

إنها مؤامرةٌ تدور على الشباب ليُعرِض عن المحراب، مؤامرةٌ تقول لهم:" تعالوا إلى الشهوات في ظل الشراب"، مؤامرة دنيئة مقصدها تدمير الشباب، ونشر الخراب.

وقد نجح أعداء الإسلام فيما خطَّطُوا له: من سلْب عقول الشباب المسلم، وطمس هويته، وقطع الصلة بينه وبين الجيل الفريد، وهذا أمر نراه رأي العين لا يحتاج إلى بيان، فالناظر إلى أحوال الشباب اليوم يصاب بالدهشة وخيبة الأمل، يجد أمامه شبابًا ممسوخ الهوية، منكوس الفطرة، ليس له هدف، همّه الأول إشباع رغباته وشهواته، ويسعى لتضييع الأوقات على الشات، والتَّحدُّث مع الفتيات عن طريق وسائل الاتصالات، ومشاهدة المباريات، وشرب المخدرات، شبابًا لا يتَّبع إلا هواه، شبابًا بَعُد عن مولاه، شبابًا تربَّى على الميوعة والخلاعة، لا يهتم إلا بمظهره من التَّزيُّن والتَّعطُّر، وأفرطوا في ذلك حتى تشَبَّهُوا بالنساء، فلبسوا الملابس الضيقة والرقيقة والتي هي أقرب للأنوثة من الرجولة.

فلا عجبَ أن النِّساء تَرَجَّلت ولكن تأنيث الرجال عُجَاب

فالأمر خطير... وسأطيل النفس في هذه الوصية لأهميتها، وقد خصصت هذه الوصية بالشباب لأمور، منها:

1- لأن فترة الشباب هي فترة العمل:

مرحلة الشباب هي مرحلة القوة والعطاء، فالشباب قوة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، **كما أشار إلى ذلك قوله تعالى:** ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ **(الروم:54)**

– وكانت صفية بنت سيرين–رحمها الله– تقول مخاطبة الشباب:" يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فوالله ما رأيت العمل إلا في الشباب ".

فمرحلة الشباب فرصة عظيمة لا تُعوَّض، يجب اغتنامها في ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه، وهذا ما كان يوصي به النبي ﷺ.

فقد أخرج الحاكم في "المستدرك" من حديث ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه:" اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" (صحيح الجامع:1077)

– وصدق القائل:

إنا لنفـرح بالأيـــام نقطعهـا وكل يوم يُدنِي من الأجـل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا فإن الربح والخسران في العمل

– ولما حضر معاوية ﷺ الوفاة قال:" اقعدوني، فأقعدوه، فجعل يذكر الله تعالى ويُسبِّحه ويُقدِّسه، ثم قال مخاصمًا نفسه: الآن تذكر ربك يا معاوية بعد الانحطام والانهدام، ألا كان ذلك وغصن الشباب نضير ريَّان، وبكى حتى علا بكاؤه، **ثم قال:**

هو الموت لا منجي من الموت والذي نحـاذر بعــد المـوت أدهى وأفظـع

– وكان الماوردي–رحمه الله– يقول:

أقبـل على صلواتك الخمس كم مصبح وعساه لا يمسي
واستقبل اليوم الجديـد بتوبـة تمحو ذنوب صحيفة الأمس
فليفعلن بوجهك الغض البِلى فعل الظلام بصـورة الشمس

فكما تشرق الشمس صافية مشرقة، ينتابها الظلامُ فتغرب ليس فيها أشعة، فكذلك حال الوجه في بداية نضارته وشبابه، ثم يتغيَّر بالهرم ويذهب نضارته.

فمَن علم أن فترة الشباب ضيف لا يعود، وفرصة لا تعوَّض؛ عمد إلى تعميرها بطاعة الله، ومَن فرَّط وقصَّر؛ ذهب الشباب محسوبًا عليه، وندم حيث لا ينفع الندم.

فيا شباب الأمة... إن لم تتغلبوا اليوم على أنفسكم، وتجاهدوا شهواتكم ورغباتكم، وتبذلوا اليوم زهرة أعماركم من أجل دينكم وأوطانكم... فمتى؟!

يقول هاشم الرفاعي في ديوانه:

مَلكنـــا هـذهِ الدنيـــا قُرونـــًا ... وأخضَعَهـــا جـــــدودٌ خالدونـا

بَنَينا حُقبـــةً في الأرض مُلكـــًا ... يدعِّمـــــهُ شبابٌ طامحُـــونـا

شبابٌ ذَلَّلـــوا سُبـــلَ المعـــالي ... وما عَـــرفوا سوى الإسلامِ دينـا

وإنْ جـــنَّ المساءُ فلا تـــــراهم ... مـــــن الإشفـــاقِ إلا ساجِدينـا

شبابٌ لـــمْ تُحطِّمـهُ الليـــالي ... ولـــمْ يُسلـمْ إلى الخصمِ العرينـا

ولم تشهـــدْهُمُ الأقـــداحُ يومـــًا ... وقـــد ملأوا نـــواديهم مُجـــونـا

وما عـــرفوا الأغـــاني مائعـــاتٍ ... ولكـــنَّ العُـــلا صِيغَتْ لُحونـــا

فما عَـــرَفَ الخلاعَـــةَ في بناتٍ ... ولا عَـــرَف التخنُّثَ في بنينـــا

كـــذلكَ أخـــرجَ الإســـلامُ قومي ... شبابـــًا مُخلصـــًا حـــرًا أمينـــا

وعلَّمـــهُ الكرامـــةَ كيـــف تُبنى ... فيأبـــى أنْ يُقَيَّـــدَ أو يهـــونـــا

وما فتِئَ الزمـــانُ يـــدور حتى ... مضى بالمجـــدِ قـــومٌ آخرونـــا

وآلمني وآلـــمَ كـــلَّ حـــــرٍ ... سؤالُ الدهـــرِ: أين المسلمونـــا؟

تُـــرى هـــل يرجـعُ الماضي؟ ... فإني أذوبُ لذلكَ الماضي حنينـا

ويبقى السؤال لماذا الحديث عن الشباب؟

2- لأن مرحلة الشباب أعظم مرحلة سيسأل عنها الإنسان

فمرحلة الشباب قطعة من العمر، وهي أهم مرحلة سيسأل عنها الإنسان.

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال:" لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه –وفي رواية:" وماذا عَمِلَ فيم عَلِمَ".

ولعل قائل يقول:" لماذا ذكر النبي ﷺ الشباب بعد العمر؟ والشباب قطعة من العمر؟

والجواب: أن هذا من باب ذكر الخاص بعد العام لبيان أهمية الخاص، أي أننا سنسأل عن العمر، وأهم مرحلة من العمر ستسأل عنها هي مرحلة الشباب. فاعلم أيها الشاب أنك ستسأل عن شبابك ماذا فعلت فيه؟ فأعد للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا، فإذا علمت هذا فعليك أيها الشباب أن تعمره من الآن بطاعة الرحمن.

ويبقى السؤال لماذا الحديث عن الشباب؟

3- حتى لا يغتر الشباب بشبابهم؛ فيطيلوا الأمل ويُسيئُوا العمل

الناظر في أحوال الشباب اليوم يرى العجب العجاب، حيث انشغل الكثير منهم بالشهوات، وارتكبوا المنكرات، وأعرضوا عن عبادة رب الأرض والسموات، والسبب في هذا طول الأمل، وهذا أمر قد شوهد بالعيان، ولا يحتاج إلى بيان.

يقول الحسن البصري-رحمه الله-:" ما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل ". **(الزهد للحسن البصري: ص:82)**

وصدق الحسن البصري.. فطول الأمل سبب لقلة الطاعة، والتكاسل عن العبادة، وقسوة القلب، وتأخير التوبة، واتباع الهوى، وكثرة المعصية، والحرص على الدنيا، والغفلة عن الموت، وما بعده من شدائد وأهوال، وربما الموت على المعصية، وهذا هو عين الشقاء.

- يقول الفضيل بن عياض-رحمه الله-:" إن من الشقاء طول الأمل، وإن من النعيم قصر الأمل".

وقصر الأمل هو الاستعداد للرحيل في أي وقت وحين، فلا ترى صاحبه إلا متأهبًا لعلمه بقرب الرحيل، وسرعة انقضاء مدة الحياة، وهو من أنفع الأمور للقلب، فإنه يبعث على انتهاز فرصة الحياة التي تمر مرّ السحاب.

- فاحذروا يا شباب طول الأمل، فالموت يأتي بغتة.

ففي صحيح البخاري من حديث أنس ﷺ قال:" خطَّ رسول الله ﷺ خطًّا، وقال: هذا الإنسان، وخطَّ إلى جنبه خطا، وقال: هذا أجله، وخط خطًا آخر بعيدًا عنه، فقال: وهذا الأمل، فبينما هو كذلك إذا جاءه الأقرب ".

فكم من مستقبل يومٍ لا يستكمله وكم من مؤمل لغد لا يبلغه

– وكان في مجلس ميمون بن مهران–رحمه الله– شيوخ وشباب، فقال–رحمه الله–:" يا معشر الشيوخ! ما ينتظر بالزرع إذا ابيض؟ قالوا: الحصاد، فنظر إلى الشباب، فقال: يا معشر الشباب، إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يستحصد ".

أيا ابن آدم لا تغررك عافية عليك ضافية فالعمر معدود

ما أنت إلا كزرع عند خضرته بكل شيء من الآفات مقصود

فإن سلمت من الآفات أجمعها فأنت عند كمال الأمر محصود

فيا أيها الشاب... لا تغرك الصحة والقوة والشباب، فتسير في ركب الحياة لاهيًا ساهيًا، وتنسى فجأة الموت، فكم من صحيح سليم معافى سمعنا نعيه، وكم من مريض سقيم طال أجله، وكم في القبور من الشباب والأطفال والرضع.

– كتب حكيم إلى أخيه فقال:" اعلم أن الموت في الشباب كثير، وآية ذلك أن الشيوخ قليل".

فإياكم يا شباب والتسويف وطول الأمل... والقعود عن العمل، فهذا مآله الخسران والبوار.

وقد قال الحبيب المختار ﷺ:" أخسر الناس صفقة: رجل أخلق يديه في آماله، ولم تساعده الأيام على تحقيق أمنيته، فخرج من الدنيا بغير زاد، وقدم على الله بغير حجة ". (أخرجه ابن النجار)

فعلى الشباب أن يستدركوا ما مضى وفات، ويعدوا عملًا صالحًا لما بعد الممات.

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون:10)

– قال ابن كثير–رحمه الله– في "تفسيره": "كل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئًا يسيرا، ليستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات.. كان ما كان، وأتى ما هو آت". اهـ

فاعلم أخي الشاب... أن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة. والليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال لابد من دخول القبر، فكم ممن راح في طلب الدنيا أو غدا، أصبح من سكان القبور غدًا.

وصدق القائل حيث قال:

تزوَّد من التقوى فإنك لا تدري إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر؟

فكم من فتى يمسي ويصبح لاهيًا وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من عروس زيَّنوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة العرس
وكم من صغار يُرتجى طول عمرهم وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

- وقد كثر موت الفجأة، وهو علامة من علامات السَّاعة.

فقد أخرج الطبراني عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إن من أمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة ".

وقد كثر موت الفجأة في الشباب، وأود أن أذكر بأن مَن عاش على شيء مات عليه، ومَن مات على شيء بُعث عليه.

وأختم بسؤال أتوجه به إلى كل شاب بعيد عن طاعة الله ﷻ:

ماذا تريد أيها الشاب؟؟ زنا، فجور، خمور، مخدرات، سيارات، دولارات، عمارات، لكن ماذا بعد؟ فلا خير في لذة من بعدها النار، فكل هذا لا يساوي غمسة في جهنم.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يارب، ما رأيت خيرا قط، ولا مرَّ بي نعيم قط".

أخي الحبيب... لا بد أن تعلم الغاية التي جئت من أجلها إلى الدنيا وهي طاعة الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:56)

لم نُخْلق للعبث واللعب واللهو.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون:115)

وأخرج الخرائطي في "مساوئ الأخلاق" وابن جرير بسند صحيح:" أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: هيا بنا نلعب، فقال يحيى عليه السلام: ما للعب خُلِقت"، فذاك قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم:12)

وحدث هذا أيضًا مع الإمام النووي، فقد كان الأطفال يضربونه ليلعب معهم وهو يبكي ويقول:" ما للعب خُلِقنا ".

فهيا أخي الحبيب... تب إلى الله تعالى، فهو القائل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:53)

وهو القائل سبحانه في الحديث القدسي:" يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة ". (رواه الترمذي من حديث أنس ﷺ)

– وها هو شاب يُدعى دينار كان مسرفًا على نفسه، وكان له أمٌّ تعظه فلا يتَّعظ، فمرَّ في يوم من الأيام على مقبرة كثيرة العظام، قد خرجت العظام من المقبرة، فتذكَّر الموت، وتذكَّر مصيره، وتذكَّر نهايته، وتذكَّر أنه على الله قادم.

أخذ عظمًا نخرًا في يده؛ ففتَّته، **ثم خاطب نفسه قائلًا:**" ويحك يا نفس كأني بك غدًا، قد سار عظمك رفاتًا، وجسمك ترابًا، ومازلتِ منكبة على اللذائذ، والمعاصي، والشهوات.

ثم ندم وعزم على التوبة والإنابة والرجوع إلى الله تعالى، فرفع رأسه إلى السماء، قائلًا: اللهم ألقيت إليك مقاليد أمري؛ فاقبلني واسترني يا أرحم الراحمين، ثم مضى إلى أمه متغيِّر اللون، منكسر القلب، فكان إذا جنَّ الليل أخذ في القيام والبكاء، وأخذ في النحيب، **وهو يقول:**

يا دينار ألك قوة على النار كيف تعرَّضت لغضب الجبار

وظلَّ على ذلك أيامًا يقوم ليله، ويناجي ربه، فرفقت به أمه يوم رأت جسمه قد هزل، **فقالت له:**" يا بنيّ ارفق بنفسك قليلًا. فقال لها: يا أماه دعيني أتعب قليلًا؛ لعلي أستريح طويلًا، يا أماه... إن لي موقفًا بين يدي الجليل، ولا أدري أإلى ظل ظليل، أم إلى شر مقيل؟ يا أماه.. إني أخاف عناء لا راحة بعده. قالت: بنياه، أكثرت من تعب نفسك، قال: يا أماه بل راحتها أريد، يا أماه... ليتك كنت بي عقيمًا، إن لابنك حبسًا في القبر طويلًا، وإن له بعد ذلك وقوفًا بين يدي الرحمن طويلًا، فكان يقوم ليله، **ويقرأ قول الله تعالى:** ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر:92،93) فيبكي بكاءً شديدًا، ثم يخر مغشيًا عليه ".

وأُبَشِّرُك أيها الشاب، يا مَن تبت ورجعت إلى الله تعالى، بأنك ستكون في أرض المحشر من جملة مَن يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" سبعة يُظِلُّهُم الله تعالى في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه".

فالناس جميعًا يقفون في أرض المحشر حفاة عراة غرلًا، والشمس فوق الرؤوس بقدر ميل أو ميلين، وكل في عرقه بحسب عمله، ويقفون خمسين ألف سنة **"يا له من مشهد مهيب!"** وفي هذا الموقف يقف الشاب الذي نشأ في طاعة الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه.

– أضف لهذا أنه سيأخذ كتابه بيمينه، ويثقل ميزانه، ويشرب في أرض المحشر من يد الحبيب النبي ﷺ ويمر على الصراط – وهو أحدُّ من السيف وأدق من الشعر– ويصل إلى جنَّةٍ عرضها السموات والأرض، **فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" كلُّ أمتي يدخلون الجنَّة إلا مَن أبى، قيل: ومَن يأبى يا رسول الله؟، قال: مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى".**

وصدق القائل:

ومَن يجعل الإيمان رائده يفز بكرامة الدنيا وعقبى الدار

بل أُبَشِّرُك أيها الشاب الطائع أنك ستكون في الجنة في أعلى عليين، مع سيد المرسلين والأنبياء أجمعين، **قال تعالى:** ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:69)

فاللهم اجمعنا بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين يا رب العالمين في جنات النعيم، ومَتِّعنا اللهم بلذة النظر إلى وجهك الكريم.

الوصية الثامنة: وصيتي لمن بلغ به العمر أقصاه، ومازال منكبًا على دنياه، بعيداً عن مولاه:

فاعلم أيها الوالد الكريم... أن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت فهي حقيرة. والليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال لابد من دخول القبر.

فكم ممن راح في طلب الدنيا أو غدا؛ أصبح من سكان القبور غدًا.

واعلم أيها الوالد الكريم... أن الدنيا دار ممر، والآخرة هي دار مقر، فخذوا من ممرِّكم لمقركم، ولا تفضحوا أستاركم عند مَن يعلم أسراركم.

وقد جاء في" كتاب قصر الأمل" لابن أبي الدنيا أن النخعي–رحمه الله– قال:" يا أيها الناس، إن الدنيا جُعلت قليلًا، وإنه لم يبق إلا قليلٌ من قليلٍ ".

كان هناك شيخ كبير بلغ من العمر98 عامًا يتحدث عن نفسه فيقول:" كأني دخلت من هذا الباب؛ وخرجت من الباب الآخر".

واعلم أيها الوالد الكريم... أنك عندما تولد فإنه يُؤذَّن في أذنك اليمنى، وتقام الصلاة في أذنك اليسرى[1]، وعندما تموت يُصلَّى عليك، فكأن حياتك هي ما بين الأذان والإقامة؛ **قال تعالى:**﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ **(يونس:45)**

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ **(النازعات:46)**

وقال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ﴾**(المؤمنون: 112، 113)**

فمهما طال عمر الإنسان في هذه الدنيا فهو قصير، مادام الموت هو نهاية كل حي، وعند الموت تنكمش الأعوام والعقود التي عاشها الإنسان؛ حتى لكأنها لحظات مرت كالبرق الخاطف.

مرت سنون بالوصال وبالهنا فكأنها من قصرها أيام

ثم انثنت أيام هجر بعدها فكأنها من طولها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

ما مضى من الدنيا أحلام، كنائمٍ رأى مسيرة حياته في لمح البصر ثم استيقظ، ذهبت الأيام بآلامها

1– الحديث فيها ضعيف.

وآمالها بشدتها وقسوتها، لكن بقي الحساب.

ذكر البخاري بابًا بعنوان "مَن بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر".

قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ﴾ (فاطر:37) يعني: الشيب.

ثم ذكر بسنده عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" أعذر الله إلى امرئ أَخَّرَ أجله حتى بلّغه ستين سنة".

قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله– في" فتح الباري:243/11": "**باب مَن بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر**":" قد اختلف أهل التفسير في ﴿النَّذِيرُ﴾، فالأكثر على أن المراد به: الشيب، واختلفوا أيضًا في المراد بـ "التعمير" في الآية على أقوال، وأصح الأقوال في ذلك ما ثبت في حديث الباب...

والإعذار: إزالة العذر، والمعنى أنه لم يبق له اعتذار، يُقال: أعذر إليه – إذا بلَّغه أقصى الغاية في العذر، ومكّنه منه. وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له؛ فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية " اهـ.

– نعوذ بالله أن نُعيَّر بطول العمر.

– فقد أخرج الحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا بَلَغَ الرجلُ من أُمَّتِي ستين سنةً، فقد أعْذَرَ اللهُ إليه في العُمُرِ ". (صحيح الجامع: 414).

– وأخرج عبد بن حميد عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا بَلَّغَ اللهُ العبدَ ستين سنةً؛ فقد أعذرَ إليه، وأبلغَ[1] إليه في العُمُرِ ". (صحيح الجامع: 415)

– وجاء في كتاب "صفة الصفوة" و" الزهد الكبير" للبيهقي عن وهب بن منبه قال:" قرأت في التوراة أن لله مناديًا ينادي كل ليلة: أبناء الأربعين، زرع قد دنا حصاده، أبناء الخمسين هلمُّوا إلى الحساب، ماذا قدمتم وماذا أخرتم؟ أبناء الستين لا عذرتم، أبناء السبعين عدُّوا أنفسكم في الموتى".

1– أبلغ: أي أطاله حتى قطع عذره.

أخي... ما مضى من العمر وإن طالت أوقاته؛ فقد ذهبت لذاته وبقيت تبعاته، وكأنه لم يكن إذا جاء
الموت وميقاته. **قال تعالى:** ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ **(الشعراء: 205– 207)**

تلا بعض السلف هذه الآيات وبكى وقال:" إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم ".

فيامن بلغ بهم العمر مبلغًا ومازالوا مقصرين في حق رب العالمين، لو تأملت حالك وحال غيرك لاتعظت، أين الطفولة ببهجتها وبراءتها؟ أين الشباب–زهرة العمر– بأحلامه وفتوته؟ كل إلى انتهاء وفناء.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ **(غافر: 67)**

فهل اتعظنا بتبدل حالنا من قوة إلى ضعف؟ وهل عقلنا ما قاله لنا ربنا؟ فوالله لو لم تكن معاناة وألم في الحياة الدنيا إلا تفلّت الأيام والأعوام، لكفى به مكدرًا لصفوها.

قيل لمحمد بن واسع–رحمه الله–: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة.

وصدق القائل حيث قال:

إنا لنفـــرح بالأيـــام نقطعهـــا وكل يوم مضى يدني من الأجـل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا فإنما الربـح والخسران في العمـل

فيامن فرط في شبابه، وضيع في شيخوخته! يا من أحْدَودَب ظهره ودنا أجله! يا من مضت به السنون وهو على وشك الرحيل! ماذا أعددت للقاء الله؟

يقول سفيان الثوري–رحمه الله–:" إذا بلغ العبد ستين سنة، فليشترِ له كفنًا، وليهاجر إلى الله ".

فيامن بلغ بهم العمر مبلغًا... احمدوا الله أن منَّ عليكم بنعمة الحياة حتى أدركتم رمضان، فلا تفرطوا ولا تضيعوا، وعليكم بالإكثار من فعل الطاعات والبعد عن المنهيات فالأعمال بالخواتيم، وحدث نفسك أيها الوالد الكريم وقل لها: لعله آخر رمضان.

وانظر إلى الحبيب النبي ﷺ فقد كان في آخر حياته يكثر من الطاعة في شهر رمضان.
فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: كانَ النبيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ في كُلِّ رَمَضَانٍ عَشَرَةَ أيَّامٍ، فَلَمَّا كانَ العَامُ الذي قُبِضَ فيه اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا ".

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: كانَ جبريل يَعْرِضُ علَى النبيِّ ﷺ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عليه مَرَّتَيْنِ في العَامِ الذي قُبِضَ فِيهِ، وكانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا، فَاعْتَكَفَ عِشْرِينَ في العَامِ الذي قُبِضَ فِيهِ ".
فالنبي ﷺ ضاعَفَ اعتِكافَه في العامِ الَّذي قُبِضَ فيه مِن أجْلِ أنَّه عَلِم بانقِضاءِ أجَلِه؛ فأرادَ استِكثارَ عَملِ الخيرِ؛ ليَسُنَّ لأُمَّتِه الاجتهادَ في العَملِ إذا بَلَغوا أقْصَى العُمرِ؛ لِيلْقَوُا اللهَ على خَيرِ أحوالِهم.

قال الشيخ ابن باز–رحمه الله– تعليقًا على الحديث السابق:" هذا يدل على أن المؤمن كلما زاد في العمر زاد في العمل الصالح ".

وهكذا كان حال السلف الصالح يجتهدون في الطاعة في آخر حياتهم، لأنهم علموا حقيقة الدنيا وأنها فانية، فعملوا للباقية، علموا أن الدنيا دار ممر وأنها وقت اختبار وامتحان، وأن الدار الآخرة هي دار القرار، فشمروا عن ساعد الجد خصوصًا في آخر أيامهم.

فها هو الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري ﷺ اجتهد قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له:" لو أمسكت أو رفقتَ بنفسك بعض الرفق؟، فقال: إن الخيل إذا أُرسلت فقاربتْ رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها؛ والذي بقي من أَجَلي أقل من ذلك! قال: فلم يزل على ذلك حتى مات!". (قصر الأمل ص: 108)

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيُّ–رحمه الله–: كُنْتُ وَاقِفًا عَلَى رَأْسِ الْجُنَيْدِ فِي وَقْتِ وَفَاتِهِ. وَكَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، ارْفُقْ بِنَفْسِكَ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ أَحَدًا أَحْوَجَ إِلَيْهِ مِنِّي، فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ، وَهُوَ ذَا تُطْوَى صَحِيفَتِي؟. **(مدارج السالكين)**

فأحرى بمن عرف جلالة مولاه وعظيم حقه تعالى، وحقيقة نفسه وشدة فقره وذله واحتياجه لخالقه عز وجل، وأدرك أنه في هذه الدنيا في معبر امتحان ووقت اختبار، وأن دار المقامة هي في الدار الأخرى؛ بأن يعظم التأسي بالنبي ﷺ فيجتهد في الخير ويكثر من العمل، وبخاصة متى مضت به السنون، فقرب الرحيل وحان الوصول إلى المثوى الأخير في هذه الدار الفانية.

- **خير الناس مَن طال عمره وحسن عمله:**

– فقد أخرج الإمام أحمد والدارمي عن أبي بكرة ﷺ أن رجلًا قال:" يا رسول الله! أي الناس خير؟ فقال النبي ﷺ: من طال عُمُره، وحسن عمله، قالوا: يا رسول الله! وأي الناس شر؟ قال: مَن طال عُمُره وساء عمله ".

– وأخرج الإمام أحمد من حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إن من السعادة أن يطول عمر العبد، ويرزقه الله الإنابة ".

– وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة والبزار عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ألا أنبئكم بخيركم، قالوا: نعم يا رسول الله. قال: خياركم أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أعمالًا ".

وانظر لهذا الحديث جيدًا لتعلم أن طول العمر نعمة لمن استغلها في طاعة الله:

فقد أخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن شداد قال:" جاء ثلاثة رهط من بني عُذْرة إلى النبي ﷺ فأسلموا، قال: فقال النبي ﷺ: مَن يكفيني هؤلاء؟، قال: فقال طلحة: أنا، قال: فكانوا عندي، قال: فضُرب على الناس بعث، قال: فخرج أحدهم فاستُشهِد، ثم ضُرِب بعث فخرج الثاني فيه فاستُشهِد، قال: وبقي الثالث حتى مات مرضًا على فراشه، قال طلحة: فرأيت في النوم كأني أُدْخِلْتُ الجَنَّة فرأيتهم، أعرفهم بأسمائهم وسيماهم، قال: فإذا الذي مات على فراشه دخل أولهم، وإذا الثاني من المستشهدين على أثره، وإذا أوَّلهم آخرهم، قال: فدخلني من ذلك، قال:

فأتيت النبي ﷺ: فذكرت ذلك له، فقال النبي ﷺ: ليس أحدٌ عند الله أفضلَ من مُعَمَّرٍ يُعَمَّرُ في الإسلام لتهليله وتكبيره وتسبيحه وتحميده ".

وأخرج ابن ماجه بسند صحيح من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ:" أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْآخَرِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِهِمَا، فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ:" مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ"! فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً "، قَالُوا: بَلَى، قَالَ:" وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ، وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟". – وفي رواية للإمام أحمد والبيهقي:" أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً لصَلَاةَ السَّنَةِ "، قَالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ". (السلسلة الصحيحة: 2591)

وإذا كان هناك ثَمَّ تفريط أو تقصير فيما مضى، فاستدرك ما فات، وابدأ عهدًا جديدًا، واعلم أن الأعمال بالخواتيم، فإذا أحسنت فيما بقي يغفر الله لك ما قد تقدم.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: 53)

وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى:" يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ، ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً ". (صحيح الترمذي: 3540) (صحيح الترغيب: 1616)

قال الفضيل بن عياض–رحمه الله– لرجل:" كم عمرك؟ فقال الرجل: ستون سنة، قال الفضيل: إذن أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله توشك أن تصل، فقال الرجل: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال الفضيل: يا أخي هل عرفت معناها، قال الرجل: نعم. عَرِفت أني لله عبد وأني إليه راجع، فقال الفضيل: يا أخي مَن عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع؛ عرف أنه موقوف بين يديه، ومَن عرف أنه موقوف عرف أنه مسؤول، ومَن عرف أنه مسئول فليُعدّ للسؤال جوابًا، فبكى الرجل فقال: يا فضيل وما الحيلة؟ قال الفضيل: يسيرة، قال الرجل: وما هي يرحمك الله، قال الفضيل: أن تتقي الله فيما بقي؛ يغفرُ الله لك ما قد مضى وما قد بقي ".

يقول أحمد بن عاصم الأنطاكي: "هذه غنيمة باردة، أصلح ما بقي من عمرك، يُغْفَر لك ما مضى".

إلهي لا تعـــذبني فـــإني مُقِرّ بالـذي قـد كـان مني
وما لي حيلــة إلا رجائي لعفوك إن عفوت وحسن ظنّي
وكم من ذلــةٍ لي في الخطايا وأنت عليّ ذو فضل ومَـنّ
أُجن بزهـــرة الدنيـا جنونًا وأقطع طول عمري بالتمني
يظن النـاس بي خيــرًا وإني لشر الخلق إن لـم تـعفُ عني

فيا من بلغت من الكبر عتيًا! ناجِ ربك وقل:

إنَّ المـوالي إذا شَابَتْ عَبيـدُهمُ في رِقِّهـم عَتقُـوهم عِتْـقَ أبْـرَار
وأنتَ يا خـالقي أولى بـذا كرمًا قد شِبْتُ في الرِّق فأعْتقني مِنَ النَّار!

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك